الأمانة العامّة
للعتبة الحسينيّة المقدسّة

مهرجان تراتيل سجادية التاسع

# تضمين الخطاب القرآني

في

## أدعية الصحيفة السجادية

## (تجلياته، وأهدافه)

إعداد: منى حسن خازم

طالبة دكتوراه في الجامعة الإسلامية في لبنان

٠٠٩٦١٧٠٢١٧٢٨٥

mona.khazem70@gmail.com

دار الوارث للطباعة والنشر

عنـوان الكتـاب : تضمين الخطاب القرآني في ادعية الصحيفة السجادية

اعـــــــــداد : منى حسن خازم

النـــــــــاشر : الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة – مهرجان تراتيل سجادية التاسع

المطبعـــــــــة : دار الوارث للطباعة والنشر

الاخـــراج الفني : محمد العامري

الطباعـــــــــة : الاولى

سـنة النشـــر : ٢٠٢٣م – ١٤٤٥هـ

عـدد الصفحـات : ٨٨

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (١٦٥٦) ببغداد لسنة ٢٠٢٣

978-9922-700-69-4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكرِه، وفتح لنا أبوابَ العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيدِه.

وصلِّ اللهمّ عليه خير بريّته، وسيّد رسلِه محمّد، وعلى آلهِ خزائن علمه، وحفَظَةِ سرّه.

**وبعدُ...**

فإنّ من السُّنن الاجتماعيّة، والخواصّ الإنسانيّة التي تلازم البشريّة هي الاختلاف في العقائد والأفكار، والتصرّفات، والاختلاف في وجهات النّظَر، والتعارُض في المصالح بين بني البشر، وهذا أمرٌ طبيعيّ كاختلافِهم في الجِنس، واللون، واللُغة.

وهذا الاختلاف بيّنهُ الخالق جلّ وعلا في سورة هود الآية (١١٨-١١٩)؛ إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ...﴾ وهذا الاختلافُ مدعاةٌ للتّعارُف، والتّعاون، والتبادل المعرفيّ، والفكريّ بين أبناء البشر؛ إذ جاء في قولِه تعالى سورة الحُجرات آية (١٣): ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا۟ ...﴾ لذا فجميع الأنبياء، والرسُل، والأوصياء ومن تبِعَهم بإحسانٍ كانوا يضعون القوانين، والضّوابط، والتّكامل في منظومةِ الحياة بين بني البَشر، وردم الفَجوات، وحلّ النِّزاعات، وتأسيس قاعدة شرعيّة، وعُرفيّة لضبط الإيقاع في مختلف أمور الحياة.

فكانتْ (رسالةُ الحقوق) للإمام السجّاد (عليه السلام)، و(الصحيفة السجّاديّة)، و(المناجاة الخمسة عشر)، وهذا النِّتاج الكبيرُ، والواسُع، والشّاملُ للإمام زين العابدين

عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عليهم السّلام).

وكان من الواجب أن تتكفّل بهذا النّتاج جهةٌ رصينةٌ ذاتُ سُمعةٍ علميّة معتدّ بها لتسليط الضّوءَ على هذه الأعمال، وترجمتها إلى اللُغات المختلفة، ونشرها لتعمّ الفائدة على أبناء الإنسانيّة.

فتصدّتِ الأمانةُ العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة لهذا المشروع المترامي الأطراف في العلم والمعرفة؛ ولتُعلنَ عن إقامة مهرجان تراتيل سجّاديّة منذ عام (٢٠١٤م) إلى يومنا هذا، وقد تكفّلنا بهِ سُعداءَ فرحينَ طلبًا للشّفاعة، وقبول الأعمال، وكانت من ضمن فقرات هذا المهرجان هو التّشجيع على الكتابة عن الإمام السجّاد(عليه السّلام)، وإرثه العلميّ، والعقائديّ، والإنسانيّ.

الحمد لله ربّ العالمين من خلال هذا التوجّه، وبعد هذه السّنوات تمكّنَّا من طباعة أكثر من(٧٠ مؤلّفًا).

وهذا العام تراتيل سجادية بنُسخته التّاسعة، الذي سيُقام في العتبة الحسينيّة المقدّسة ، في ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام في شهر آب ٢٠٢٣م الموافق ٢٥ محرّم الحرام ١٤٤٥هـ ، نضعُ بين أيديكم هذا المؤلّفَ الجديدَ بنُسختِه ليضافَ إلى مكتبة الإمام السجّاد (عليه السلام).

## ومن الله التوفيق ...

**السيد جمال الدين الشهرستاني**

**رئيس اللجنة التحضيرية لمهرجان تراتيل سجادية**

## المقدمة

### واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير داعية، رسول الهداية والمودة والرحمة، أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى آله الغرر الميامين المطهرين، سبل الله وأبوابه التي منها يؤتى، وعلى صحبه الموالين، ومن شايعهم إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي أزهر القلوب بدعائه، وأينع براعم الايمان بندائه، وأوسق ثمار العقيدة بمناجاته، وهدانا بما أنزل من صحفه ورسالاته، فدعانا في محكم كتابه لدعائه، وجعله مفتاح الباب بينه وبين عبيده وإمائه.

وبعد،

الدعاء في الإسلام رُكن رَكين، وكهف حصين، وواحة أمان وطمأنينة يلجأ إليه الإنسان المسلم عندما تداهمه الخطوب، وتنتابه العلل، وتتلبَّد أمامه الأجواء، فيحسُّ بالاختناق في كل لحظة، ويفتش عن المتنَفَّس، ويبحث عن الانعاش، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى حيث قال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾.[١]

وهو شعور فطري بوجود القوَّة الأعظم، واليد الغيبية التي تمتد في اللحظة المناسبة لإنقاذ الإنسان من محنته.

إن القرآن الكريم يحمل قيمة معنوية عالية، وقداسة خطابية مستوحية من

---

١- سورة يونس الآية ١٢

صاحب الكلمات وناقلها، فالتعامل مع آياته يخضع لقواعد وآداب، ومن هذا تنوعت طرائق التأثر به.

فالنص القرآني له حضوره وتجلّى بمظاهر عدة في أقوال وخطب الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنها أدعية الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقد تأثر الإمام بالقرآن الكريم تأثراً واضحا، تارة بصورة مباشرة بأن يُضمِّن دعاءه نصاً قرآنيا، وتارة أخرى بصورة غير مباشرة فيكون تضميناً معنويا، ولا شك ولا ريب إن أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ قد شملت مظاهر الحياة المختلفة وكان التأثر القرآني فيها واضحا وجلياً.

ضمّن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أدعيته التي تمثّلت في الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه منهاجا كاملا للحياة الإنسانية، ولم يترك الإمام جانبا مما تحتاجه الأمة الإسلامية إلا وتعرض له وعالجه بأسلوبه الفذ وبلاغته البديعة...

للدّعاء دوره في معرفة الله، كما له دوره في عبادة الله بالتذلّل والخضوع والخشوع والاستغراق الروحي في التعبير عن الحاجة المطلقة – في وجود الإنسان – لله الغنيّ المطلق، بحيث تتحرّك العبادة في الجوّ والمضمون والإيحاء.

فإنّ قيمة الدعاء، أنّه ينفتح بالإنسان على الله ليطوف بفكره في مواقع عظمته، ومجالات نعمته، ليتعرّف إليه في كلّ صفة من صفاته، وكلّ اسمٍ من أسمائه، ما يفرض عليه الانتقال من أفقٍ إلى أفقٍ، ومن فكرة إلى فكرة. فإذا عاش هذا الجوّ الفكري الروحي المملوء بمفردات العقيدة وظواهر الكون وحركة الحياة، ورأى أثر ذلك في الوجود كلّه، وفاعليته في وجوده بالذات، امتلأت ذاته بعظمة ربّه،

وشعر بالامتنان لنعمه، فكان الحمد لله تعبيراً عن كلّ ذلك الجوّ، وحيويّة ذلك الشعور، وحركية العبودية في الوجدان.

والأحاديث الشريفة أكّدت على أنَّ للدعاء أهدافاً وحكماً كثيرة لو عرفها الإنسان لاكتشف كنزاً عظيماً، اكتشف علاجاً لمشاكل يعيشها في حياته، وحلاً للمصاعب التي تعترضه، واكتشف بالتالي شفاءً لما في صدره من الآلام والأدران.

وفي طليعة هذه الأحاديث ما روى عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه، عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ( **الدُّعاء سلاح المؤمن، وعِمَاد الدين، ونور السماوات والأرض)**

فالمؤمن يواجه في حياته مخاطر كثيرة، وذلك بسبب ضعف نفسه، لأن الإنسان خلق من ضعف، ورُكِّب في ضعف: (وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا).[١]

ولقد اتبع الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أسلوب الدعاء فألّف بذلك الصحيفة السجادية، والتي سمّيت بـ (زبور آل محمد)، وقد ضمّت بين دفتيها أدعية مختلفة الأغراض ... تطرقت إلى تربية المسلمين [٢]

مصحّحة للسلوك المتدنّي الذي كان شائعاً في عصره، فاستطاع أنْ ينشر من خلال الدعاء جواً روحياً في المجتمع الإسلاميّ، يسهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم. [٣]

---

١- سورة النساء، الآية ٢٨

٢- الأساليب التربوية عند أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ١٧٤

٣- مقدمة الصحيفة السجادية

ومع أنّها كانت لعصرها إلاّ أنّ فائدتها الدينيّة والاجتماعية انبسطت لتشمل كل العصور والنص البليغ هو الذي لا تقيدّه خارطة الزمن وربّما لم يكشف الغبار عن فضل الدعاء حقيقة؛ لأنّ فضله عامّ حتى قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عليك بالدّعاء فإنّه شفاء من كل داء». [١]

وإطلاق شفائه يوحي بمكانته الفائقة في تحقيق الصّلاح على جميع المستويات بما فيها الاجتماعية والصحية والنفسية، ولكن كون الدعاء من حيث المظهر الداخليّ يقوم على عنصر وجدانيّ يتصاعد به الدّاعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه. [٢]

ومن هنا وجدنا التأكيد على متابعتهم في أدعيتهم، فهذا السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره يحثّ على أن يكون (الدعاء بالمأثور من المعصومين؛ لأنّه تكلّم مع الله تعالى كما أنّ القرآن تكلّم الله مع العبد، فينبغي في الدعاء أنْ يكون مأثوراً ومستنداً إلى الشرع،

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. [٣]

وقال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾. [٤]

كما لا ينبغي لنا أن نتصور الدعاء والمناجاة على أنها مجرد ألفاظ يطرحها

---

١- الشيخ الكليني أصول الكافي:٢/ ٢٥٨

٢- محمود البستاني، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، صفحة ١٥٠، الناشر، دار الفقه للطباعة

٣- ١٠ سورة فاطر / الأية

٤- سورة الحج / الآية ٢٤

اللسان بل هي انعكاس لمبدأ داخلي لا يبتعد كثيراً عن النفس الإنسانية فهي نوع من التوعية والإيقاظ للقلب والعقل يتعلق بروح الداعي وأبعاد وجوده مولداً لإحساس عميق بالفقر والخضوع والابتعاد عن آفة الغرور والتعالي مرسخاً لشعور أنّ الله تعالى هو منبع النعم ومصدرها مما يجعل التحرك في هذا المسار انفتاحاً نحو ما جبلت عليه نفوسنا من الطلب للكمال المنشود والاستجابة للفطرة الإنسانية السليمة.

أيضاً لا ينبغي للبعض أن يعتقد أنّ الدعاء هو ترك للأخذ بالعوامل الطبيعية وتعطيل لمسيرة الحياة، فطلب الحاجات يُعدّ حافزاً للعمل على توفير شروط القبول من خلال التوسل بتلك العوامل كالعمل بالمواثيق الإلهية والابتعاد عن كل فاسد والجد والاجتهاد في الطلب. فكلّما باعدتنا الأهواء عن ساحة قدسه سبحانه تأكّدت الحاجة لرأب الصدع وتقليص المسافة.

وكما للدعاء آداب وشروط لابد من الأخذ بها وفي مقدمتها الإخلاص فهو جوهر العبادة وخلاصتها فثمرة العمل تكمن فيه. وقد كان لشخصية الإمام زين العابدين العظيمة أثرها الأكبر فيما تحدثه تلك الأدعية من التأثير في النفوس، والنفوذ إلى العقول، والسمو بالروح البشرية إلى العلا.

وقد اشتملت أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ على نماذج حسية لمعطيات وجدانية تراءت بصور وأشكال كلامية ظهرت بمنتهى البلاغة والإحكام وبأفضل العبارات والكلمات، وحوت مقاصد فكرية

وعلمية ودينية راقية جسّدت التصور الأبهى بين العبد وربّه والالتحام

الأقوى بين المخلوق وخالقه شكراً له وعرفاناً بفضله وسؤالاً له من فيضه ومنّه وتأكيداً على الآصرة القوية بين الضعيف والقوي وبين السائل والمعطي ودليلاً على حسن التعبد والتوكل وإظهاراً للوحدانية المطلقة له عَلَيْهِ السَّلَامُ واعترافاً بنقصان العبد وحقارته أمام جبروت الخالق وعظمته.

وقد كان الدعاء وسيلة أولى في نهج الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ على طول مسيرة حياته الشريفة وسلاحاً متدرع به في ذلك العصر الذي عاشه.[١]

١ - العلامة المجلسي، بحار الأنوار، جزء ٩٣، ص ٣٠٢، تحقيق، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، الطبعة:١٤٠٣-١٩٨٣ م

**١ـ الصحيفة السجادية منظومة فكرية تربوية عقائدية متكاملة للأمة:**

ان الصّحيفة السّجاديّة هي من ذخائر التُراث الإسلامي، ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق، والأدب في الإسلام، ونظراً لأهميتها البالغة فقد سماها كبار رجال الفكر والعلم، بأخت القرآن، وإنجيل أهل البيت، وزبور آل مُحمّد.

ومما زاد في أهميتها أنها جاءت في عصر طغت فيه الأحداث الرهيبة، والمشاكُلّ السياسية القائمة على حياة المُسلمين فأحالتها إلى سحب مظلمة ليس فيها أي بصيص من نور الإسلام وهديه وإشراقه، فقد انشغل المسلمون بالتكتل الحزبي والسياسي، سعيا وراء مصالحهم وأطماعهم، ولم يعد هناك أي ظل لروحانية الإسلام وتعاليمه، وآدابه، وحكمه.

ربما يتصور البعض أن الدعاء، من حيث الظاهر، وسيلة العاجز والمضطر عندما تعييه الحيل، ويكون عاجزاً عن تحقيق مراده في ظروف قاهرة، وهذا ما نلاحظه في زماننا الحاضر، بينما هي بالحقيقة في منهج الامام السجاد، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، شيء آخر تماماً، وهو المعروف بإدامته على الدعاء والمناجاة. حيث انه قدم للأمة سفرٌ عظيم من الادعية والمناجاة، جُمع فيما بعد تحت عنوان «الصحيفة السجادية».

للدين مظهر وجوهر، مظهر الدين هو الصلاة والصيام، والحج.. إلى آخر العبادات.. وجوهر الدين وعماده الدعاء، لأن جوهر الدين هو اتصال الإنسان بالله،

وعماد الدين وهو عروج الإنسان إلى الله، فإن الله سبحانه وتعالى تحدث إلى الإنسان عبر القرآن الكريم.

إن مناجاة الإنسان مع ربّه يكون من خلال الدعاء، وهو شعور فطري بوجود القوّة الأعظم، واليد الغيبية التي تمتد في اللحظة المناسبة لإنقاذ الإنسان من محنته.

حيث صاغ الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أدعية عالية المضامين بوحي من القرآن الحكيم تعتبر بحق دائرة معارف عليا لجميع المعارف الإلهية، ابتداءً من معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى، وطرق التوسل إليه، واستمراراً مع صفات الرسل وانتهاءً بتكريس الصفات الرسالية عند الإنسان المسلم.

إن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ينطلق في ذلك من وعي تام بأن التوعية الفكرية تبقى (باردة)، ولا تؤدي إلى تفعيل الحياة الثقافية والسياسية للأمة، وتحصين المسلمين ضد عوامل الهدم الفكري، والإفساد السياسي والأخلاقي. نعم إن التوعية الفكرية وحدها ما لم تمتزج بالنداوة الروحية وتنفعل بالحرارة العاطفية لا تثمر الثمرة المرجوة.

ومن هنا رأى الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتلقى المسلم التوعية الفكرية من خلال (المناجاة)، حيث يكون وجدان المسلم عادةً في (سخونة كافية) فتكون قادرة حينئذ على أن تأخذ مداها الكامل، وتترسخ في أعماق النفس وتستقر في صفحة الذهن، وبتحقق عملية (الانفعال) تلك تتم عملية (التحصين).

إن علينا هنا أن نتبين مدى ما حققه الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ من ظفر ونجاح. وليس عسيراً أن نعثر على عشرات الشواهد التي تدلّنا على أن الأدعية السجادية

صارت معشوقة ومتبناة من قبل قطاعات واسعة في الأمة.[١]

## ٢ـ الهدف الذي سعى الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ لتحقيقه من خلال أدعيته

والهدف الذي سعى الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ لتحقيقه، تبلّوَر في شحن الأمّة روحياً. وذلك باتباع فلسفة الدُعاء، كوسيلة لتحقيق مبدأ عبوديّة الإنسان المطلقة، لله تعالى وحده. والتأكيد على انعتاق ذات الإنسان، من تأثيرات أيّة قوّة دنيويّة، وتحقيق موضوع ارتباط الإنسان بخالقه.

وهذا المنهج الذي اتّخذ من الدُعاء وسيلة لتهذيب النّفس البشريّة، وتأديبها بأدب القرآن، كان بمثابة مدّرسة، أعادت التّوازن الرّوحي عند الكثير من أبناء المجتمع، بعدما طغت عليهم روح الأنانيّة وعبادة الذّات، وضعف العلاقة الروحيّة بينّهم وبيّن الخالق تعالى.

فهذه المدّرسة أعادت بناء الإنسان من الدّاخل، بعدما سيطرت عليه الحياة الماديّة وبهرجتها،

وعندما بَصَرَتْ الجَماهير الحقيقة التي تتجلّى بقيادة الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنهجه أخذت تميل إليه وتترك ولاية الظالمين سراً وجهراً.

جاء في الحديث المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد عهد إليّ اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ

١ – أ.م. د خليل خلف بشير – جامعة البصرة – كلية الآداب/ موقع الولاية

الحـوض».

فقد جاء في الحديث الحث على الاهتمام والتمسك بالقرآن وبالعترة الطاهرة وهما معا، لا يمكن أن يفترقا مهما كان، والانتقاص من العترة ومحاولة إقصاءها محاولة للانتقاص من القرآن، لأن النتيجة تتبع أحسن المقدمات وأحسن المقدمات العترة، فانتقاص العترة انتقاص للكتاب.

ومن تلك العترة الطاهرة التي تجسد فيها القرآن وأمرنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم إضافة للتمسك بالقرآن، الإمام الجليل والعبد الصالح المطيع لله ورسوله الإمام علي بن الحسين السجاد عليه وعلى آباءه وأبناءه أفضل التحية والسلام.

من أبرز المظاهر الفذة في سيرة الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ الأدعية المأثورة عنه، فقد تميز ما نقل عنه بالكثرة، والنفس الطويل، وشهرة التداول، لما تحتويه من أساليب جذابة ومستهوى للقلوب، تتجاوب معها الأرواح والنفوس، وما تضمنته من معان راقية تتفاعل مع العقول والأفكار.

وقد كان للأدعية التي أصدرها أبعاد فكرية واسعة المدى، بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البت فيها بنص قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة، تيارات الإلحاد، كالتشبيه والجبر والإرجاء، وغيرها مما كان الأمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيدا للردة عن الإسلام، والرجوع إلى الجاهلية الأولى.

وفي حالة القمع والإبادة، ومطاردة كل المناضلين الأحرار، وتتبع آثارهم

وخنق أصواتهم، كان قرار الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ باتباع سياسة الدعاء، أنجح وسيلة لبث الحقائق وتخليدها، واءمن طريقة، وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتصال سرية مكتومة، هادئة، موثوقة.[١]

### ٣ـ الصحيفة السجادية مدرسة كاملة للمبدأ والعقيدة:

إن الصحيفة السجادية ليست أدعية فحسب، بل مدرسة كاملة للمبدأ والعقيدة والتربية والأخلاق والصبر والتضحية والتسامح والرحمة والعطف والثورة على الشر والشيطان بل والفساد بشتى صوره وألوانه. وكل ما فيها – في الصحيفة – تقديس وتعظيم لجلاله تعالى، وكماله، وحمده، وشكر لفضله وكرمه، وطلب توفيقه، وهدايته، والنجاة من غضبه وعذابه، والتعوذ من الشيطان، وإغوائه وغير ذلك.

وكلامنا في تلك الصحيفة الكريمة التي من قرأها وتصفح في مضمونها وجد أنها تنبع من القرآن وتفوح به تشع نوراً كنور القرآن، فقد حوت الصحيفة أفكار القرآن من خلال عرض الآيات الكريمة بشكل مباشر لتدعيم فكر قرآنية أو بشكل تضمين الآيات ضمن الدعاء بنسق واحدة وفكرة واحدة وحين يكون القارئ للصحيفة غير قارئ للكتاب المجيد ولا حافظاً لما تيسر من كتاب الله أو عارفاً بأسلوبه، لا يستطيع أن يميز بين ما هو قرآن عما هو ليس كذلك وسوف

---

١-
السيد محمد رضا الجلالي، من أدب الدعاء في الإسلام، مجلة تراثنا، العدد ١٤ ،السنة الرابعة (١٤٠٩) (ص ٣٠)

نستعرض ذلك من خلال أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

والقارئ للصحيفة، يجد الوصف القرآني ذا أثر جلي فيها وبخاصة صور القرآن الوصفية للمتع الحسية في اليوم الآخر إذ هي كثيرة الورود فيها، حتى تبدو متناثرة هنا وهناك بحسب المناسبة والمقام وبحيث تتضمن صور تلك النعم بأسلوب الإمام الجذاب.

والمتتبع لأدعية الإمام السجاد في الصحيفة وغيرها وكذلك بقية كلام الأئمة الهداة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجد الصورة الكاملة لهدي القرآن الكريم، وصراطه القويم في علومهم، وأخلاقهم، وأقوالهم، كيف لا وهم عدل القرآن بنص حديث الثقلين المروي من الفريقين.

ثمّ عندما ندرس الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أدعيته، سواء في الصحيفة السجادية، أو في غيرها مما روي عنه، نجد أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ جعل الدّعاء عنصر ثقافة، يتحدّث في داخله وهو بين يدي الله عن كلّ جوانب العقيدة. فنحن عندما نقرأ دعاءه بين يدي الله، فإنّنا نقرأ كلّ عناصر التَّوحيد..

وهكذا، عندما تقرأ دعاءه عندما يذكر الملائكة، فإنَّه يصبح عندنا ثقافة عن كلّ عالم وهكذا، عندما يدعو لوالديه ولجيرانه ولأهل الثّغور وللمرضى...

ومن هنا، كانت أدعية الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أدعية ثقافيّة، بحيث لا ينفتح فيها الإنسان على مجرّد ابتهالات روحيّة بين يدي الله، بل يأخذ المفاهيم الإسلاميّة في كلّ جوانب حياة الإنسان.

ومن المؤسف أنَّ هذه الأدعية الثّقافية الإنسانيّة الاجتماعيّة الإسلاميّة، لم

تأخذ امتدادها الفكريّ في عقول النّاس، حتى الذين يتبعون الأئمّة من أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ بشكل عام، ولم تدخل أيضاً في الثّقافة الجامعيّة، أو في المواقع الثقافية التي تتحدّث عن الجانب الروحي في الإسلام، مع أنّ هذه الأدعية هي الأدعية التي يمتزج فيها الجانب الرّوحي بالجانب الاجتماعي، وربما الجانب السياسي، وحتى بعض الجوانب التي تتّصل بالسلوك الاقتصادي للإنسان

وتأتي ادعية الامام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في طليعة الادعية الباهرة الجمال والابتهالات العالية المضامين. وهب الله لها من هيبة الحكمة، ومنحها من اشراق المعرفة، وسكب عليها كؤوساً من البهاء والنور والنضرة والرواء. ولو لم تكن لزين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ على سبيل الفرض «خصوصاً ادعية الصحيفة السجادية الكاملة».. فلابد ان تكون لشخص آخر من ائمة التربية والعرفان والسياسة والفلسفة. (وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).[١]

### ٤ـ اهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق:

يقول الامام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ : آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزينة فينبغي لك ان تنظر ما فيها. ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤكداً على مصاحبة القرآن، والاستئناس به، وملازمته كملازمة الظل: لو مات مَن بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي. ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ تشويقاً لقراءة القرآن، ومشجعاً على تلاوته وملازمته: عليك بالقرآن؛ فان الله خلق الجنة بيده لبنة من

١ – سورة السجدة / الآية ٢٤

ذهب، ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصباءها اللؤلؤ وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن- فمن قرأ منها قال له: اقرأ وارق. ومن دخل الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه ما خلا النبيين والصديقين.[١]

ومن دخل منهم الجنة، لم يكن في الجنة أعلي درجة منه، ما خلا النبيين والصديقين.[٢]

ومما لا ريب فيه ان التوجيه نحو كتاب الله الحكيم توجيه في نفس الوقت للسنة الزكية. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٣]

وروي العلامة الكليني في الكافي عن الامام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤكداً على السنة «ان أفضل الاعمال ما عمل بالسنة وإن قل».

### ٥ـ الصحيفة السجادية بحر من المعارف:

أهمية الصحيفة السجادية هو أنها «كتاب إعجازي». والخلاصة والعصارة لتفكّر أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرجة في هذا الكتاب. ومع أن هذا الكتاب صيغ في قالب الدعاء لكنه «بحر المعارف الإسلامية المـوّاج». في الواقع إن الصحيفة السجادية تحتوي على عدد كبير من المواضيع ويمكن استخلاص إجابات عن كثير من القضايا في الحياة من هذا الكتاب. «أدعية الصحيفة السجادية...

---

١- السيد هاشم البحراني ،تفسير البرهان، ج٣، ص١٥٦

٢- السيد هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج٣ ،ص٩٥٦

٣-سورة الحشر / الآية ٧

وهذه الأدعية كلها التي وصلتنا من الأئمة مليئة بالمعارف الإسلامية بشأن التوحيد والنبوة والحقوق ووضع المجتمع والأخلاق والحكومة والقضايا كافة التي يحتاج الإنسان إلى معرفتها بشأن الإسلام» [١].

لذلك «إن أحد مجالات التدبّر هو هذه الأدعية». «إذا وضع المرء خطبة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في التوحيد أمامه، وهي الخطبة الأولى في نهج البلاغة، أو وضع أمامه الدعاء الأول في الصحيفة السجادية الذي هو بشأن التحميد، أي الحمد الإلهي، يجدهما متشابهين ولا فرق بينهما...

هذه الأدعية كلها التي وصلتنا من الأئمة مليئة بالمعارف الإسلامية بشأن التوحيد والنبوة والحقوق ووضع المجتمع والأخلاق والحكومة والقضايا كافة التي يحتاج الإنسان إلى معرفتها بشأن الإسلام.[٢]

والميزة في الصحيفة السجادية هي أن معارفها تختلف عن معارف كثير من الروايات، لأن الأدعية تصدر في حالة علاقة الإنسان بالله، وهي أفضل حالة للإنسان، خاصة بلسان الإمام المعصوم وبالألفاظ نفسها التي قالها. لذلك إن المعارف التي عبّر بها الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أثناء هذه الحالة من الخضوع والخشوع والعلاقة العرفانية مع الله هي بالتأكيد مختلفة تماماً عن المعارف التي عبّروا عنها أثناء حالة علاقتهم مع الناس.

وسبب هذا التفاوت هو أنه رغم حضور الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في حالاتهم كافة

---

١- من خطبتي الإمام الخامنئي في صلاة الجمعة، ٢٦/ ٢/ ١٩٩٣

٢- المصدر السابق

عند الله وأنّ حالاتهم كلها إلهية وكلامهم كله نور وفيه معارف راقية، لكن بطبيعة الحال كلماتُهم في قالب الدعاء - إنهم في حالة محادثة مع الله - تختلف كثيراً عن الكلام والمعارف التي لديهم في قالب الرواية ومحادثة مع الناس، لأن الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ عبّروا عن المعارف بقدر فهم الناس وإدراكهم ولم يكونوا ينقلون المعارف الخاصة إلى الأشخاص كلهم، لأن الناس قد لا يفهمون كثيراً من هذا الكلام، وحتى بعض الأصحاب الخواص أيضاً، أو قد لا يمكن التعبير عن كثير من الكلام والمعارف، ولكن يمكن التعبير عنها في الحديث مع الله.

وأيضا من مصاديق ذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه في الرهبة (**اللَّهُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أَنْزَلْتَ مِنْ كِتَابِكَ ، وبَشَّرْتَ بِهِ عِبَادَكَ أَنْ قُلْتَ * يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله ، إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً * وقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي مَا قَدْ عَلِمْتَ ومَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَيَا سَوْأَتَا مِمَّا أَحْصَاهُ عَلَيَّ كِتَابُكَ ،فَلَوْ لَا المَوَاقِفُ الَّتِي أُوَمِّلُ مِنْ عَفْوِكَ الَّذِي شَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ لأَلْقَيْتُ بِيَدِي...**)[١]

نجده عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تأثر تأثراً مباشراً بالنص القرآني وضمنه دعاءه وهو قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٢]

---

١- الصحيفة السجادية/ ٢٤٨

٢- سورة الزمر/ الآية :٥٣

### ٦ـ الإستشهاد والتمثيل في أدعيته من القرآن الكريم:

إن أدعية الإمام علي بن الحسين أنها تتصل بالذات المقدسة، وتذوب في ساحتها، وتتوسل إليها في غفران الذنوب والعطف وبلوغ اللطف الإلهي السامي. وفيما يتصل بالمجتمع الإسلامي، فنجد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يحاول بأدعيته من خدمته والأخذ به لما يرفع بالخلق إلى مستوى يطمح إليه القرآن الكريم، فهو يعلّم الناس أدعية تقربهم إلى الله تعالى في الاستشفاء، والرزق، والدعاء للمسلمين في ساحات القتال دفاعا عن الدولة الإسلامية والمقدسات الإسلامية والمسلمين.[١]

واستشهاده عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن الكريم مترتب بوجوه مختلفة، وهي في مجملها تتوزع على وجهين هما الاستشهاد به بصورة مباشرة، والاستشهاد به بصورة غير مباشرة. ويمكن إجمالا القول إن الإمام المعصوم لا ينطق سوى قرآنا قولا صادقا وحجة مبينة. وهذا ضرب من الاستشهاد بالنص القرآني على سبيل غير مطروقة. وفيما يأتي بيان هذين الوجهين وما يتفرع منهما:

الاستشهاد بالقرآن الكريم بصورة مباشرة: وهو أن يقتبس الإمام من القرآن الكريم آية أو جزءا منها؛ لغرض ما، علما أن الاستشهاد بالنص مباشرة غير الاستشهاد به بصورة غير مباشرة، وان الاستشهاد بآية غير الاستشهاد بجزء منها، ففوق الاعتبارات البلاغية هناك ضابط إلزام الحجة والبيّنة التي لا

---

١- الاستشهاد في كتاب الأمالي للشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، د. حسن عبد المجيد الشاعر، بحث مخطوط مشارك في مؤتمر العتبة الكاظمية المخصوص بتراث الشريف المرتضى، مايس ٢٠١٥م

يمكـن أن تتضـح سـوى بذكـر الآيـة كاملـة. عـلى الرغـم مـن قلّـة هـذا الوجـه في أدعيتـه عَلَيْهِ السَّلَامُ عـلى حـد علـم الباحـث كقولـه عَلَيْهِ السَّلَامُ في حمـد الله تعـالى عـلى نعمـه التـي جحدهـا الإنسـان: (حتـى إذا بلـغ أقـصى أثـره، واسـتوعب حسـاب عمـره، قبضـه إلى مـا ندبـه إليـه مـن موفـور ثوابـه، أو محـذور عقابـه، ليجـزي الذيـن أسـاءوا بـما عملـوا ويجـزي الذيـن أحسـنوا بالحسـنى، تقدسـت أسـماؤه وتظاهـرت آلاؤه، لا يسـأل عـما يفعـل وهـم يسـئلون، والحمـد لله الـذي لـو حبـس عـن عبـاده معرفـة حمـده عـلى مـا أبلاهـم مـن مننـه المتتابعـة.[١]

فكانوا كما وصف في محكم كتابه « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.[٢]

ومـما يدخـل في هـذا الوجـد حمدلتـه التـي يفتتـح بهـا في غـير مـرة أدعيتـه، وهـي قولـه: (الحمـد لله)، وهـي جـزء مـن سـورة الفاتحـة، الآيـة الأولى. ويكثـر ورود تركيـب الحمدلـة في الدعـاء الواحـد ونجـد الإمـام يبـدا بـه مرفوعـا ويشـفعه بعـد ذلـك منصوبـا مـن بـاب ذكـر المفعـول المطلـق المسـتغنى عـن فعلـه ، وكأن فعلـه حـلّ محلّـه قولـه ( الحمـد لله ) ، نحـو قولـه عَلَيْهِ السَّلَامُ : (والحمـد لله بـكل مـا حمـده بـه أدنـى ملائكتـه إليـه واكـرم خليقتـه عليـه وأرضى حامديـه لديـه ، حمـدا يفضـل سـائر الحمـد كفضـل ربنـا عـلى جميـع خلقـه ، ثـم لـه الحمـد مـكان كل نعمـة لـه علينـا وعـلى جميـع عبـاده الماضـين والباقـين عـدد مـا أحـاط بـه علمـه مـن جميـع الاشـياء ، ومـكان كل واحـدة منهـا عددهـا أضعافـا مضاعفـة أبـدا سرمـدا إلى يـوم القيمـة ، حمـدا لا منتهـى

١- الصحيفة السجادية صفحة ١٧-١٨

٢- سورة الفرقان/ الآية ٤٤

لحده ، ولا حساب لعدده ، ولا

مبلغ لغايته، ولا انقطاع لأمده، حمدا يكون وصلة إلى طاعته وعفوه، وسببا إلى رضوانه وذريعة إلى مغفرته، وطريقا إلى جنته، وخفيرا من نقمته، وأمنا من غضبه وظهيرا على طاعته، وحاجزا عن معصيته، وعونا على تأدية حقه ووظائفه، حمدا نسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء بسيوف أعدائه، إنه ولي حميد)[١]

فضلا عن تركيب النداء للذات المقدسة ( اللهمّ )، الذي كثر الابتداء به في أدعيته ، نحو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : ( اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص ، وسورة الغضب وغلبة الحسد ، وضعف الصبر ، وقلة القناعة ، وشكاسة الخلق ، وإلحاح الشهوة ، وملكة الحمية ، ومتابعة الهوى، ومخالفة الهدى ، وسنة الغفلة ، وتعاطي الكلفة ، وإيثار الباطل على الحق ، والاصرار على المأثم ، واستصغار المعصية ، واستكبار الطاعة ومباهاة المكثرين والازراء بالمقلين ، وسوء الولاية لمن تحت أيدينا ، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا ، أو أن نعضد ظالما، أو نخذل ملهوفا ، أو نروم ما ليس لنا بحق ، أو نقول في العلم بغير علم ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد ، وأن نعجب بأعمالنا ، ونمد في آمالنا )[٢]

ومثل هذا قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون)[٣]

---

١ – الصحيفة السجادية الدعاء الاول

٢ – الصحيفة السجادية الدعاء الثامن

٣ – الصحيفة السجادية صفحة ١

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١]

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٢]

ويلحظ فيه أن الإمام جمع جزأين من آيتين مختلفتين هما غافر والدخان، وهذا دليل على انهم لا ينطقون سوى بالقرآن الكريم.[٣]

وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (حمدا يرتفع منا إلى أعلى عليين في كتاب مرقوم يشهده المقربون).

وهنا الإمام أخذ جزءا من نص قرآني ثم أشفعه بآيتين منه في السورة نفسها.

وهو قوله تعالى:

﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤]

الاستشهاد بالقرآن الكريم بصورة غير مباشرة: وهو أن يذكر جزءا من آية قرآنية لا تزيد على كلمة واحدة، نحو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : **(الحمد لله الاول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده)**[٥]

وربما يرد بأسلوب مختلف عن النص القرآني ويرشدك إلى هذه الحال الألفاظ القرآنية التي طرأ عليها تغيير ما في موضعها أو اشتقاقها، نحو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

---

١- سورة غافر: ١٧

٢- سورة الدّخان : ٤١

٣- الاستشهاد في كتاب الأمالي للشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، د. حسن عبد المجيد الشاعر، بحث مخطوط مشارك في مؤتمر العتبة الكاظمية المخصوص بتراث الشريف المرتضى، مايس ٢٠١٥م

٤- المطففين، الآيات ١٨-٢١

٥- الصحيفة السجادية، الدعاء الاول

(وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الانسانية إلى حد البهيمية)[١]

وتنظر في النص القرآني ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢]

ومنه قوله: **(وجعل لكل روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه)** [3]

قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [٤]

**(لا ينقص من زاده ناقص، ولا يزيد من نقص منهم زائد)** [5]

ومثله قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : **(حمدا تقر به عيوننا إذا برقت الابصار وتبيض به وجوهنا إذا اسودت الابشار)**.[٦]

جاء مقابلا بقوله تعالى من آيتين مختلفتين، وهما قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾.[٧]

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [٨]

---

١- الصحيفة السجادية: صفحة ١٨

٢- سورة لقمان من الآية ٢٠

٣- الصحيفة السجادية صفحة ١٧

٤- سورة فصلت من الآية ١٠

٥- الصحيفة السجادية صفحة ١٧

٦- الصحيفة السجادية الدعاء الاول

٧- سورة القيامة الآية ٧

٨- سورة آل عمران، لآية ١٠٦

ومثله قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : (ولم يكلفنا إلا وسعا)[١]

[٢] يقابل به قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

**٧ـ تجلّي «القرآن» في «الصحيفة السجادية» :**

من أهم الأسباب التي تجعل الإنسان يحتاج إلى أن يأنس بالصحيفة السجادية ويتدبّر فيها مثل القرآن ويسعى إلى تحقيقها، أن الصحيفة السجادية هي [مضمون] القرآن نفسه.

هي أخبار القرآن نفسها التي تعلّمنا إياها في قالب جمل وعبارات إنشائية، إذا أَنِسَ شخص بالصحيفة السجادية، فسوف يدرك بوضوح أن كل جملة فيها مستوحاة من القرآن الكريم.

فهي أنموذج كامل للقرآن الصاعد، وهي من أعظم المناجاة العرفانية في خلوة الأنس التي تعجز أيدينا عن نيل بركاتها. إنه كتاب إلهي استمد وجوده من معين نور الله، ويعلّم أصحاب الخلوة الإلهية طريقة سلوك الأولياء العظام والأوصياء الكبار.

كتاب شريف يوضح أسلوب بيان المعارف الإلهية لأصحاب المعرفة مثل ما هو أسلوب القرآن الكريم بعيداً عن تكلف الألفاظ، وفي قالب الدعاء

---

١ – الصحيفة السجادية الصفحة ٢٨

٢ – سورة البقرة من الآية ٢٨٦

والمناجاة، للمتعطشين للمعارف الإلهية. إن هذا الكتاب المقدس، مثل القرآن الكريم، مائدة إلهية ينهل منها كل شخص على قدر شهيته المعنوية.

إن هذا الكتاب، مثل القرآن الإلهي، يدلنا بأسلوبه الخاص على أدق المعارف الغيبية التي تحصل من التجليات الإلهية في الملك والملكوت والجبروت واللاهوت وما فوق ذلك مما لا يخطر على ذهني وذهنك وتقصر يد الطلاب عن حقائقه، كقطرات من بحر عرفانه المترامي الأطراف تجعلهم يذوبون ويفنون»[١].

«إنّ القرآن كتاب نازل إذْ نزل من عند الله، وأدعية الأئمة كتاب صاعد. والمقصود بذلك تقريباً أنه القرآن نفسه [لكنه] يصعد من ناحية أخرى.[٢]

أحيا الإمام السجادعَلَيْهِ السَّلَامُ علاقة المجتمع وأُنسه بالقرآن عبر الصحيفة السجادية، لأن طبيعة الدعاء على نحو جذاب، وإذا عبّرنا عن معارفها عبر القرآن، ففي الحقيقة إنه يروج للقرآن ويؤنس المجتمع به.

الصحيفة السجادية بتفسيرها القرآن تجعله أقرب إلينا وتجعله متاحاً لنا، وأيضاً هي بالدعاء تجذبنا إلى القرآن حتى نعمل بما يقوله الله. ثمة آيات كثيرة تعبّر عن صفات الله في جمل خبرية، في حين أن الصحيفة تعبّر عنها في جمل إنشائية».[٣]

الصحيفة السجادية توضح لنا مدى أُنس الإمام السجّادعَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن

---

١- ،صحيفة النور، ج. ٢١، ص. ١٩١

٢- صحيفة النور، ج. ٢٠، ص ٣٣٠

٣- آية الله جوادي الآملي، صحيفة كيهان، رقم ٢٠٠٦٤، بمناسبة استشهاد الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، شباط/ فبراير ٢٠٠٦

وكيف حوّل عقله وقلبه إلى عقل قرآني إذ لم يصدر عن لسانه سوى القرآن.

إن القرآن الكريم يحمل قيمة معنوية عالية، وقداسة خطابية مستوحية من صاحب الكلمات وناقلها، فالتعامل مع آياته يخضع لقواعد وآداب، ومن هذا تنوعت طرائق التأثر به.

فالنص القرآني له حضوره وتجلّى بمظاهر عدة في أقوال وخطب الأئمة (عليهم السلام) ومنها أدعية الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقد تأثر الإمام بالقرآن الكريم تأثراً واضحا، تارة بصورة مباشرة بأن يُضمِّن دعاءه نصاً قرآنيا، وتارة أخرى بصورة غير مباشرة فيكون تضميناً معنويا، ولا شك ولا ريب إن أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ قد شملت مظاهر الحياة المختلفة وكان التأثر القرآني فيها واضحا وجلياً.

١-إن القرآن الكريم يحمل قيمة معنويَّة عالية وقداسة خطابيَّة، ولقداسته وجماله نجد أدعية الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ متأثرة به.

كان للمظاهر الاجتماعية والاقتصادية أثر بارز في أدعية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد وظّف في أدعيته مفردات قرآنية تكون استدلالاً على الآداب والأخلاق التي يجب مراعاتها مع الوالدين، وجزاء الإحسان بالإحسان، وكيفية التعاون مع أبناء المجتمع وتقديم الخدمة لهم.

أكد الله سبحانه وتعالى على وجوب طاعة الوالدين والبر بهما وقرن حقهما بحقه ،وعدَّ عقوقهما من الكبائر ،وهو - العقوق - نكران للمعروف في حق الوالدين كما أنه نكران الحق لله تعالى؛ لأن العاق قد تجاهل وصية الله

في الوالديـن، فقـد قـال عـز وجـل: ﴿ وَقَـضَىٰ رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِدَيْـنِ إِحْسَـانًا إِمَّـا يَبْلُغَـنَّ عِنـدَكَ الْكِـبَرَ أَحَدُهُمَـا أَوْ كِلَاهُمَـا فَـلَا تَقُـل لَّهُـمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَـا وَقُـل لَّهُـمَا قَـوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِـضْ لَهُـمَا جَنَـاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ وَقُـل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَا رَبَّيَـانِي صَغِـيرًا ﴾[١]

ومـن مصاديـق ذلـك نجـد الإمـام السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائـه عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبويـه نجـده قـد تأثـر بمفـردات مـن الآيـة أعـلاه، فيقـول فيـه: (**اللَّهُـمَّ خَفِّـضْ لَهُمَا صَـوْتِي ، وأَطِبْ لَهُـمَا كَلَامِـي ، وأَلِـنْ لَهُـمَا عَرِيكَتِـي ، واعْطِـفْ عَلَيْهِـمَا قَلْبِـي ، وصَـيِّرْنِي بِهِـمَا رَفِيقـاً ، وعَلَيْهِـمَا شَـفِيقاً ،اللَّهُـمَّ اشْـكُرْ لَهُـمَا تَرْبِيَتِـي ، وأَثِبْهُمَا عَـلَى تَكْرِمَتِـي ، واحْفَـظْ لَهُـمَا مَـا حَفِظَـاه مِنِّـي فِي صِغَـرِي ،اللَّهُـمَّ ومَـا مَسَّـهُمَا مِنِّـي مِـنْ أَذًى ، أَوْ خَلَـصَ إِلَيْهِـمَا عَنِّـي مِـنْ مَكْـرُوه ، أَوْ ضَـاعَ قِبَلِي لَهُـمَا مِـنْ حَـقٍّ فَاجْعَلْـه حِطَّـةً لِذُنُوبِهِـمَا ، وعُلُـوّاً فِي دَرَجَاتِهِـمَا ، وزِيَـادَةً فِي حَسَـنَاتِهِمَا ، يَـا مُبَـدِّلَ السَّـيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَـا مِـنَ الْحَسَـنَاتِ**)[٢]

مهـما قـدّم الولـد لوالديـه فإنـه لـن يؤديهـما حقهـما، فمـن حقـوق الآبـاء أن يكـون أبناؤهـم مجديـن مطيعـين لهـم

---

١-سورة الإسراء/ الآية: ٢٣-٢٤

٢- الصحيفة السجادية/ ١١٦

**٨ـ الدعاء واطلالته على الجانب الفكري والعقيدي:**

للدّعاء دوره في معرفة الله، كما له دوره في عبادة الله بالتذلّل والخضوع والخشوع والاستغراق الروحي في التعبير عن الحاجة المطلقة - في وجود الإنسان - لله الغنيّ المطلق، بحيث تتحرّك العبادة في الجوّ والمضمون والإيحاء.

فإنّ قيمة الدعاء، أنّه ينفتح بالإنسان على الله ليطوف بفكره في مواقع عظمته، ومجالات نعمته، ليتعرّف إليه في كلّ صفة من صفاته، وكلّ اسمٍ من أسمائه، ما يفرض عليه الانتقال من أفقٍ إلى أفقٍ، ومن فكرة إلى فكرة. فإذا عاش هذا الجوّ الفكري الروحي المملوء بمفردات العقيدة وظواهر الكون وحركة الحياة، ورأى أثر ذلك في الوجود كلّه، وفاعليته في وجوده بالذات، امتلأت ذاته بعظمة ربّه، وشعر بالامتنان لنعمه، فكان الحمد لله تعبيراً عن كلّ ذلك الجوّ، وحيويّة ذلك الشعور، وحركية العبودية في الوجدان.

وليس الحمد كلمةً تُقال، ولكنّه فكرة تتحرّك في جولة الفكر الإنساني بكلِّ مواقع حمد الله في صفاته وفي ذاته، وفي علاقته بوجود الإنسان من حيث المبدأ والتفاصيل، فيعيش مع الله عيش المعرفة الحيّة التي يلتقي فيها العقل بالإحساس، والوجدان بالحركة.

وهذا الدعاء يمثِّل الأسلوب الذي يتميّز به المنهج القرآني في الحمد لله، ليتوزّع معناه بين المناجاة في الروح، والمعرفة في العقل.

قد ذكر في شرح هذا الدعاء الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (في ظلال الصحيفة السجادية)، (ما أعجب ما دبر في أمرك .....) كل ما في الكون من

الـذرة الصغـيرة إلى المجـرة الكبـيرة عجيـب في صنعـه وتدبـيره ومحـال أن يحـدث صدفـة مـن غـير علـم ،وقصـد وحكمـة ، ومـن قـال بالاتفـاق ، والصدفـة تـاه في ظلـمات، وانتقـل مـن شـك إلى شـك، ( جعلـك مفتـاح شـهر حـادث) كل شـهر، وكل يـوم وكل سـاعة وكل شيء في تغـير دائـم سـوى الخالـق شـئنا أم أبينـا ،( خالقي وخالقك ومقدري ومقدرك ومصوري ومصورك) التقدير يسبق الخلق، والتصوير، لأنـه تخطيط وتصميـم ،( أن يجعلـك هـلال بركـة لا تمحقهـا الأيـام) محق الـشيء: أبطلـة ومحـاه ، والبركـة : النـماء والزيـادة، وخـير الأوقـات عـلى الإطـلاق مـا تمحـى فيـه السيئات وتثيب الحسنات وكل شيء مـا عـدى ذلـك فإلى زوال والزائل ليـس بـشيء.[١]

كذلـك دعـاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ بعـد الفـراغ مـن صـلاة الليـل لنفسـه في الاعـتراف بالذنـب: **(ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ ، وتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ ، وحَارَتْ فِي كِبْرِيَائِكَ لَطَائِفُ الأَوْهَامِ ،كَذَلِكَ أَنْتَ اللهَّ الأَوَّلُ فِي أَوَّلِيَّتِكَ ، وعَلَى ذَلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لَا تَزُولُ ،وأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَمَلًا ، الْجَسِيمُ أَمَلًا ، خَرَجَتْ مِنْ يَدِي أَسْبَابُ الْوُصُلَاتِ إِلَّا مَا وَصَلَه رَحْمَتُكَ ، وتَقَطَّعَتْ عَنِّي عِصَمُ الآمَالِ إِلَّا مَا أَنَا مُعْتَصِمٌ بِه مِنْ عَفْوِكَ ،قَلَّ عِنْدِي مَا أَعْتَدُّ بِه مِنْ طَاعَتِكَ ، وكَثُرَ عَلَيَّ مَا أَبُوءُ بِه مِنْ مَعْصِيَتِكَ ولَئِنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وإِنْ أَسَاءَ، فَاعْفُ عَنِّي...)**[٢]

هنـا الإمـام عـلي السـجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكـر في دعائـه تنزيـه الخالـق وضعـف المخلـوق وأن

١- في ظلال الصحيفة السجادية/ محمد جواد مغنية ٤٩٥

٢-الصحيفة السجادية/ ١٠٠

الله عز وجل دائم البقاء لا يفنى هو الأول والأخر بيده عصمتي وعليه توكلي نجده قد تأثر بقوله تعالى :﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١]

إنّ المعرفة الحقيقية بأنّ الإنسان فقير إلى الله تعالى تجعله يلتجئ إليه تعالى دائماً، ومن هنا نجد أنّ للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ أدعية في أوقات وحالات متعدّدة، فله عَلَيْهِ السَّلَامُ دعاء في الصلاة على محمّد وآله، وفي الصلاة على حملة العرش، وفي اللجوء إلى الله تعالى، وفي طلب الحوائج، وعند المرض، وفي مكارم الأخلاق، ولجيرانه، ولأوليائه، ولأهل الثغور، وفي الاستخارة، وفي التوبة، وإذا نظر إلى الهلال، وفي يوم عيد الفطر، وفي التذلّل، وعند الشدّة، وعند ذكر الموت، وفي الرهبة، وفي استكشاف الهموم...

وينطلق الحمد الذي يختزن معنى الشكر، من جديد، عندما يتطلع هذا الإنسان إلى الدين الذي يضمن له سعادة الدنيا والآخرة، مما أنزله الله على رسوله من كتابه فيما اشتمل عليه من عقيدةٍ وشريعةٍ ومفاهيم للحياة ومناهج للعمل وللتفكير..

فيحمد الله على ما حباه من ذلك كله، وعلى ما اختصه به من ملّته.. وهذا هو الأسلوب التربوي الذي يوحي للإنسان المؤمن بقيمة الدين في عقيدته

---

١- سورة الحديد/ الآية: ٣ - ٤

وشريعته، ما يجعله منفتحاً على حمد الله من خلاله، ليكون ذلك أساساً للتفكير فيه، وللاهتمام بحركة المسؤولية فيه، وللإيحاء الحركي بعلاقته بقضية المصير الأبدي، خلافاً للمعروف المألوف لدى الناس من تأكيد العناصر المادية في مسألة الحمد والشكر...[١]

**كان عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ**

**الحَمْدُ لله الأوّلِ بِلا أوّلٍ كانَ قبْلَهُ، والآخِرِ بِلا آخِرٍ يكونُ بَعْدهُ، الذي قَصُرَتْ عنْ رؤيَتِهِ أبْصارُ النّاظِرينَ، وعجِزَتْ عنْ نعْتِهِ أوْهامُ الواصِفين.**

**ابتَدَعَ بقُدرتِهِ الخَلْقَ ابْتِداعاً، واخْتَرَعهُم على مشيّتِهِ اخْتِراعاً، ثم سَلَكَ بِهِمْ طَريقَ إرَادتِه، وبَعَثَهُم في سبيلِ محبّتِه، لا يمْلِكُونَ تأخيراً عمّا قدّمَهُم إليْه، ولاَ يستَطيعونَ تقدّماً إلى ما أخَّرَهُم عنْهُ، وجَعَلَ لكلِّ رُوحٍ منْهُم قُوتاً معْلوماً مقْسوماً منْ رِزْقِهِ، لا ينْقُصُ مَنْ زَادَهُ ناقِصٌ، ولا يَزيدُ مَنْ نَقَصَ منْهُم زائِدٌ.**

**ثُمّ ضَرَبَ لهُ في الحَيَاةِ أجَلاً موْقُوتاً، ونَصَبَ لهُ أمَداً محْدوداً، يتخَطّى إليهِ بأيّامِ عُمُرِهِ، ويزْهَقُهُ بأعْوامِ دَهْرِه، حتّى إذا بلَغَ أقْصى أثَرِه، واسْتَوعَبَ حِسَابَ عُمُرِه، قَبَضَهُ إلى ما نَدَبَهُ إلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوابِه أوْ محْذُورِ عِقَابِهِ، ليَجْزِيَ الذينَ أسَاؤوا بِما عمِلُوا، ويَجْزِيَ الّذينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى، عَدْلاً مِنْهُ تقَدَّسَتْ أسْماؤهُ وتظَاهَرَتْ آلاؤُهُ ﴿لا يُسْأَلُ عمّا يفْعَل وهُم يُسألُون﴾[٢].**

---

١- السيد محمد حسين فضل الله، من كتاب آفاق الروح، ج ٢ ص ٢٦٤-٢٧٧

٢- سورة الأنبياء/ الآية ٢٣

وَالحَمْدُ لله الـذِي لَـوْ حَبَسَ عَـنْ عِبـادِهِ معْرِفَـةَ حَمْـدِهِ عَـلى مـا أَبْلاهـم مِـن مِنَنِـهِ المُتَابِعَـةِ، وأَسْـبَغَ علَيْهِـمْ مِـنْ نِعَمِـهِ المُتَظاهِـرَةِ، لَتَصرّفُـوا في مِنَنِـهِ فلَـمْ يَحْمـدُوهُ، وتَوسّعُوا في رِزْقِه فلَـمْ يشْكُروه. ولَـوْ كانُـوا كذلِـكَ، لَخَرَجـوا مِـنْ حُـدُود الإنْسـانيّة إلى حـدِّ البَهِيميّـة،

فكَانـوا كَـما وَصَـفَ في مُحْكَـمِ كتابـهِ: ﴿إِنْ هُـمْ إلا كالأَنْعـامِ بـلْ هُـم أضـلُّ سـبيلاً﴾.[١]

كـما نـرى، في بدايـة دعائـه، إطلالـةً عـلى الجانـب الفكـري العقيـدي في معنـى «الأول والآخـر» كصفتـين مـن صفـات الله، ليتحـدّث عنهـما بطريقـة تختلـف عـن حركتهـما في المخلـوق، فـالأول في وجـود الأشـياء حركـة حـدوث بعـد العـدم سـابقة عـلى وجـود الآخـر، والآخـر حركـة نهايـة الوجـود في سلسـلة الوجـودات التـي تفنـى فتنتهـي إلى العـدم، ليكـون هـو الـذي يسـتهلكه العـدم في النهايـة.

أمـا الأوليـة في الله، فهـي أوّليـة الأزل الـذي لا ينطلـق مـن العـدم، بـل هـي نسـبة للأشـياء الأخـرى في تقدّمـه عليهـا، كـما أنّ الآخريّـة تمثّـل تأخّـره عنهـا، لا نهايـة وجـوده بعدهـا، ليكـون في آخـر السلسـلة مـن هـذه الناحيـة، لأنّـه خـارج نطـاق الزمـان كلّه. وهكـذا يثير الدعـاء مسـألة اسـتحالة رؤيتـه بأبصـار الناظريـن، وإدراك مـدى صفاتـه في أوهـام الواصفـين، فـلا مجـال لأحـد أن يحيـط بـه في معنـى جمالـه وجلالـه.

---

١- سورة الفرقان/ الآية ٤٤

وينطلق الحمد في نطاق إحساس الإنسان بالعزّة أمام الكون كلّه والإنسان كلّه، لأنّ الله لم يجعله محتاجاً إلى أيّ شيء من أشياء الموجودات، فهي في ذاتها تختزن معنى الحاجة إليه تعالى، بل جعله محتاجاً إليه وحده، لأنّ كلّ شيء يمثِّل أداةً للخالق في إيصال نعمه إلى عباده، فليس لهم دور مستقلّ في ذلك كلّه، لأنّهم لا يملكون الاستقلال في وجودهم وفي كلّ مفرداته الصغيرة والكبيرة.

وتلك نعمة تتصل بالسموّ الروحي في معنى الحرية في المضمون المتصل بالتحرّر من الحاجة إلى الغير، وبالسرّ الوجودي في الافتقار إلى الله، والحاجة إليه في المضمون المتصل بتوحيد العبودية له.

انفتاح الحمد على جمالات الخلق، في حسن الصورة، وإبداع الهيئة، وروعة التكوين، وحرية الحركة، وانفتاح العقل على كلّ مواقع الفكر في الحياة، ودقّة الأجهزة التي ركَّبها فيه، حتى تحوّل هذا الإنسان إلى موجود حيّ فاعل، في حركة وجوده ووجود الأشياء الأخرى.

واستغراق الحمد - مع ذلك كله - في طيِّبات الرزق التي أعطت الإنسان في الدنيا عناصر القوّة والاستمرار في وجوده، وجعلته منفتحاً على لذّاته وشهواته، ومنطلقاً مع كلّ حاجاته الجسدية، ليجد في امتداد عمره ما يغنيه ويستلذّه ويشتهيه ويرتاح إليه ويُقبل عليه.

أمّا علاقته بالكون من حوله، وبالمخلوقات الأخرى الحيّة والنامية والجامدة، فقد منحه الله السيطرة عليها كلّها، من خلال ما أعطاه من عناصر القدرة في ذاته، ووسائل القوة في وجوده، وحيويّة العقل في حياته، وحرية الحركة في

جسده، وسخّر له الكون كلّه وأعطاه مفتاح أسراره، وعرّفه سنن وجوده، وسلّطه على كلّ مواقعه ومصادره وموارده، فأصبح الإنسان السيّد المطاع في الكون بعزة الله.

وهكذا عبّر الله عن ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [١]

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [٢]

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [٤]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٥]

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [٦]

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا

---

١- سورة النحل/ الآية ١٢

٢- سورة النحل/ الآية١٣

٣- سورة الجاثية/ الآية١٣

٤- سورة النحل/ الآية ٨١

٥- سورة النحل الآية ١٤

٦- سورة يس / الآية ٧١-٧٢

جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ* وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [١]

وهكذا نجد أنّ الله خلق الإنسان ليكون سيّد الأرض التي يحرّك في أوضاعها طاقته من أجل أن ينظّمها ويسيِّرها ويعمِّرها، من حيث موقع الخلافة التي أرادها الله في بداية خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ . وتلك هي النعمة الكبرى التي يرتفع بها شأن الإنسان ليحمد الله عليها ويشكره من خلالها.

والإنسان ـ بعد ذلك ـ جسدٌ حيّ، يختزن الروح في داخله، هذا الشيء الخفي في سرّه، البارز في أثره، وللروح المتجسّدة حاجاتها في فاعلية الوجود واستمرارية البقاء، ولا يملك الإنسان في قدرته الخاصة أن يوفّر لنفسه تلك الحاجات، لأنّها ليست من ذاتيات وجوده، بل هي حركة وجود آخر في النبات والحيوان والهواء والماء والأرض، وما يتحرّك فيها من تفاصيل الحاجات للمخلوقات كلّها.

وقد جعل الله لكلّ روحٍ من هذه الأرواح المتجسّدة في المادة نصيباً معيّناً من رزقه، في نظامٍ متوازن شامل، يضع لكلّ منها حاجاتها، ويقسم لكلّ واحدة منها رزقها، من خلال الأسباب التي أودعها في الكون مما يتّصل بإرادة الإنسان أو وجوده، فلا يملك – هو ولا غيره – أن يزيد شيئاً على قسمة الله، أو ينقص شيئاً من ذلك، لأنّ هذه القضية ـ في نطاقها الوجودي العام – من شؤون التكوين، لا من شؤون الإرادة الإنسانية، فليس للإرادة أن تتحرّك إلا في دائرتها، فلا مجال

١ – سورة النحل/ الآية ٥–٨

لها في الخروج منها بأية وسيلةٍ كانت.

ثُمَّ ضَرَب لهُ في الحَيَاةِ أجَلاً موْقُوتاً، ونَصَبَ لهُ أمَداً محْدوداً، يتَخطّى إليهِ بأيَّامِ عُمُرِهِ، ويَزْهَقُهُ بأعْوامِ دَهْرِه، حتّى إذا بلَغَ أقْصى أثَرِهِ، واسْتَوْعَبَ حِسابَ عُمُرِه، قَبَضَهُ إلى ما نَدَبَهُ إلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوابِهِ، أو مَحْذُورِ عِقَابِه، لِيَجْزِيَ الّذينَ أسَاؤوا بِما عَمِلُوا، ويَجْزِيَ الَّذِينَ أحْسَنُوا بِالحُسْنَى، عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أسْمَاؤهُ، وتَظَاهَرتْ آلاؤهُ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[١]

**كما تحدث في أدعيته عن عدل الله تعالى في ثوابه وعقابه**

لقد خلق الله الإنسان – في هذه الحياة ـ في أجلٍ موقوت، وعمر محدود:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [٢]

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣]

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا﴾[٤].

فالحياة رحلة تبدأ من الولادة لتتحرّك في خطوات العمر في حركةٍ مفتوحةٍ على كلّ الأيام، ولتثقلها الأعوام التي تتراكم عليها في امتداد الدهر، وتمضي بالإنسان خطواته التي يأكل فيها في كلّ يوم قطعةً من عمره، حتى يستنفد المائدة التي وضعها الله بين يديه كلّها في تعب مجهدٍ، وإرهاقٍ موجعٍ، لتنتهي بالموت الذي تنتهي به مدّة العمل، الذي كان يمثل حركة المسؤولية في وجوده ودوره

---

١- سورة الأنبياء/ الآية ٢٣

٢- سورة آل عمران/ الآية:١٨٥

٣- سورة الزّمر/ الآية:٣٠

٤- سورة المنافقون/ الآية:١١

الـذي أعـدّه الله لـه، ليواجـه – بعـد المـوت – نتائـج المسـؤولية في الثـواب الـذي جعلـه الله للمحسـنين مـن عبـاده لما عملـوه مـن خـير، وفي العقـاب الـذي توعّـد بـه المسـيئين منهـم لما عملـوه مـن شر، وذلـك في الموقـف الحـقّ، يـوم يقـوم النـاس لـربّ العالمين، ليجـزي الذيـن أسـاؤوا بـما عملـوا، ويجـزي الذيـن أحسـنوا بالحسـنى، وذلـك هـو الـذي يجعـل للحيـاة هدفـاً، ويخـرج خلـق الإنسـان مـن العبثيـة، فهنـاك سـاحة للعمـل في الدنيـا، وهنـاك سـاحة للنتائـج الحسـنة أو السـيئة في الآخـرة، وذلـك هـو خـطّ العـدل الإلهـي الـذي يعطـي كلّ إنسـان مـن عبـاده حقّـه، بـما جعلـه لـه مـن الحـقّ في الطاعـة، ويحمّـل كلّ واحـد منهـم مسـؤوليته بـما لـه عليـه مـن الحـق، مـن خـلال طبيعـة معنـى العبوديـة، ومـما أراده الله منـه مـن البُعـد عـن المعصيـة.

إنّـه الـربُّ الـذي ارتفعـت أسـماؤه إلى أعـلى الدرجـات مـن العظمـة، فـلا ينالهـا سـوء، ولا يقـترب منهـا نقـص، فهـي الطاهـرة المنـزَّهة عـن كلّ دنـس...

وهـو الـذي تتابعـت نعمـه وتكاثـرت وظهـرت في معناهـا المنفتـح بالخـير عـلى كلّ الموجـودات، وهـو الـرب الـذي لا يبلـغ العبـاد- مهـما فكّـروا وبحثـوا- سرّ أفعالـه، وحكمـة قضائـه وقـدره، لأنّهـم لا يملكـون وسـيلة المعرفـة في شـؤون ذاتـه في أسرارهـا الخفيـة، وآفاقهـا المطلقـة غـير المحـدودة، ولا يحـقّ لهـم أن يسـألوه عـن فعلـه لِمَ فعلَـه، لأنّ السـؤال يختـزن في داخلـه حـقّ السـائل في معرفـة خلفيـات عمـل المسـؤول، أو في محاولـة الوصـول إلى سرّه، أو في قابليـة الفعـل للحكـم عليـه بالخطـأ أو الصـواب تبعـاً لما ينكشـف مـن طبيعتـه، مما قـد يسـتتبع المـدح أو الـذم، وهـو أمـر لا مجـال لـه في موقـع الخالـق ومقامـه لـدى المخلـوق.

فهو الله الذي يملك المخلوق كلّه، فلا حقّ له في معرفة تفاصيل ما يفعله به أو ببقية مخلوقاته، بحيث يُعدُّ الامتناع عن الإجابة قبيحاً، لأنّه لا يملك حقّ الاعتراض على أيّ شيء من ذلك، بعد أن كان الإيمان بالله الواحد الحكيم القدير القاهر فوق عباده العادل، يوحي بالحكمة في كلّ أفعاله، وبالعدل في كلّ قضائه وقدره، لأن العبث مستحيل عليه بفعل كمال ذاته، ولأنّ الظلم مستحيل عليه بفعل الغنى عنه والقوة في ذاته، فما معنى السؤال، إلا إذا كان اعتراضاً وتمرّداً، وهذا ما لا يتفق مع الإيمان الثابت في الوجدان، ولا ينسجم مع المعرفة الواعية لله في عظمة مقامه في جلاله وكماله... وهو الربّ الذي خلق عباده وحمّلهم مسؤولية أقوالهم وأفعالهم في خطّ حركة العبودية في وجودهم الخاضع بطبيعته لله، المنفتح في حركته في داخلهم على خضوعهم الاختياري له في طاعتهم له، وبُعدهم عن معصيته. ولذلك فإنّ من حقّه عليهم أن يسألهم، كما قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [١]

وقد جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [٢]، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**لا يُسأل عما يفعل لأنّه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبّر الجبّار والواحد القهّار، فمن وجد نفسه حرجاً في شيء مما قضى كفر، ومَن أنكرَ شيئاً من أفعاله جحد، وهم يُسألون، قال: يعني بذلك خلقه إنه يسألهم**».

---

١- سورة الصافات/ الآية:٢٤

٢- سورة الأنبياء/ ألآية:٢٣

والحَمْدُ لله الَّذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى ما أَبْلاهُم مِنْ مِنَنِهِ المُتَتابِعَةِ، وأَسْبَغَ عليْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ المُتَظاهِرَةِ، لتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وتوسَّعُوا في رِزْقِهِ فلَمْ يَشْكُروهُ، ولَوْ كانُوا كذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإنْسانِيّةِ إلى حدِّ البَهِيمَيّةِ، فكانُوا كَما وصَفَ في مُحْكَمِ كتابه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[١]

## ٩ـ خطّ العظمة في النظام الكوني المرتبط بالإنسان:

والحَمْدُ لله الّذِي أغْلَقَ عنّا بابَ الحَاجَةِ إلاّ إليه، فكيْفَ نُطيقُ حَمْدَهُ؟ أمْ متَى نُؤدِّي شُكْرَه؟ لا، مَتى؟ والحمْدُ لله الذي ركَّبَ فينا آلاتِ البَسْطِ وجَعَلَ لَنَا أدَوَاتِ القَبْضِ، ومتَّعَنا بأرْواحِ الحَياةِ وأثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الأعْمَالِ، وغَذَّانا بطيِّبَاتِ الرزْقِ، وأغْنَانا بِفَضْلِهِ، وأقْنَانَا بمَنِّهِ، ثُمّ أمَرَنا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا، ونَهَانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا، فخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أمْرِهِ، وركِبْنَا مُتُونَ زَجْرِهِ، فلَمْ يَبْتَدِرْنا بعُقُوبَتِهِ، ولَمْ يُعَاجِلْنا بنِقْمَتِهِ، بلْ تأنَّانا برَحْمَتِهِ تَكَرُّماً، وانْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنا برَأفَتِهِ حِلْماً.

وهكذا نجد أنّ الله أودع في الإنسان الخصائص المتحرِّكة، ذات الأبعاد المتنوّعة المنفتحة على الكون بالقدرة الإلهية، من خلال الفرص الكثيرة التي أتاحها له، وأودع في الأشياء المتصلة بوجوده، المنتشرة في ساحة قدرته، الطاعة الذاتية التي تجعلها خاضعة له فيما يُراد أن يحرّكها أو يتعامل معها أو يوجّهها إلى ما يشاء في حدود قوانينها الوجودية التي أخضعها الله لها.

---

١ – سورة الفرقان / الآية

وهذا ما يجعل الحمد لله في وجودنا الإنساني منطلقاً في خطين؛ خطّ العظمة في النظام الكوني المرتبط بالإنسان، وخطّ النعمة في النتائج الطيبة التي نحصل عليها في حياتنا من خلالها، ليكون الحمد مدحاً من جهة، وشكراً من جهة أخرى، مما يجتمع لنا في وعينا الإيماني لآلاء الله ونعمه في مواقع حمده، وبذلك يكون للحمد جانب موضوعي يتصل بحقيقة الموجود في ذاته، وجانب ذاتي يتّصل بالإنسان في حياته.[١]

**والحَمْدُ لله الّذي اخْتَارَ لَنا مَحَاسِنَ الخَلْقِ، وأجْرَى علَيْنا طيِّباتِ الرِّزْقِ، وجَعَلَ لَنا الفضيلَةَ بالمَلَكَةِ على جَميعِ الخَلْقِ، فَكُلُّ خَليقَتِهِ مُنْقَادةٌ لَنا بقُدْرَتِهِ، وصَائِرَةٌ إلى طاعَتِنا بِعِزّتِهِ.**

**الحمد لله على حُسن الخلق وطيّبات الرزق**

والحمْد لله، في انفتاحنا على وجودنا الإنساني، فقد خلقنا الله فأحسن صُوَرنا، كما قال سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٢]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.[٣]

وأودع فينا الخصائص والعناصر والأجهزة التي تجعل من هذا الوجود المتمثّل في إنسانيتنا وجوداً متميزاً بظاهره وباطنه، في حيوية روحه وحركية جسده، وامتداد أبعاده، وتنوّع آفاقه، ثم كفل لنا حاجاتنا المتنوّعة في استمرار

---

١ – السيد محمد حسين فضل الله، آفاق الروح – الجزء الأول، إسم الناشر: دار الملاك للطباعة والنشر، مكان النشر: لبنان – حارة حريك،
تاريخ النشر: ٢٠٠٠م – ١٤٢٠هـ، الطبعة: الأولى،

٢–سورة غافر/ الآية:٦٤

٣– سورة التين/ الآية:٤

هذا الوجود، في طيبات الرزق الذي أغدقه علينا، مما ينزل من السماء من الماء الذي يجعل منه كلّ شيء حيّ، والذي أحيا به الأرض بعد موتها، ومما ينبت في الأرض من أنواع النبات، ومما يتحرك فيها من الأنعام.

ولله الحمد على هذه الميزة الوجودية التي كرّم بها بني آدم، وفضّلهم على خلقه بالملكة المبدعة التي زوّدهم بها، والعقل الذي أودعه فيهم، وسخّر لهم كلّ ما حولهم ومن حولهم مما يتحرك في ساحة وجودهم، بحيث جعلهم منقادين لهم من خلال قدرته على إخضاع خلقه لمن يشاء ولما يشاء، ومتحرِّكين في خطّ طاعتهم، بالعزة المهيمنة على الوجود كلّه، فلا ينتقص أحد منها بشيء، فإذا وجّه أيّ شيء لما يريده مما يتّصل بذاته أو بغيره، كان من دون تأخير.

أكد الله تعالى في كثير من الآيات،[١] الآيات التي عرّفت الإنسان بأنه أفضل المخلوقات وأنه خليفة الله في الأرض وحامل أمانته، وهو من سجد له الملائكة جميعا، فهو الغاية من خلقة سائر المخلوقات: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [٢]

إن تكريم الإنسان في القرآن هو تكريم لذاته الإنسانية قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٣]

١-ظ: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، محمد بسام الزين، ١، ١٨٦- ١٨٧

٢-سورة الإسراء/ الآية: ٧٠

٣- سورة التغابن/ الآية: ٣

فهذا التكريم هو جامع لكل الخير والشرف والفضائل[١]

حيث أن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تأثر بهذه الآيات في دعائه، إذا ابتدأ بالدعاء بدءاً بحمد الله عز وجل والثناء عليه، لتحسينه تلك الصورة الإنسانية وجعلها مفضلة على سائر المخلوقات يقول: (**والْحَمْدُ للهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ خَلِيقَتِه مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وصَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه**)[٢]

فالمراد من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا هو الشكل والصورة ،خلق سبحانه الإنسان في أحسن خلقة وأحكمها وأدقها.[٣]

**وهذا ما تحدّث به في كتابه في قوله تعالى:**

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [٤]

﴿جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [٥]

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٦]

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ*

---

١-النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، حرف الكاف (باب الكاف مع الراء)

٢- الصحيفة السجادية/ ٣٠

٣- محمد جواد مغنية، في ظلال الصحيفة السجادية، ٦٣

٤- سورة الجاثية/ الآية:١٣

٥- سورة النحل/ الآية:٨١

٦- سورة النحل/ الآية:١٤

يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ﴾ [١]

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [٢]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ*وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [٣]

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ*وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٤]

إنّنا نحمده على ذلك كلّه، ونتقرّب إليه بهذا الحمد، لأنّه يمثّل كلّ الإيمان به، والمحبة له، والتطلّع إلى رحمته والقرب منه، لنحصل من هذا الحمد على الامتداد في العمر مع الحامدين له من خلقه، والسبق إلى الوصول إلى رضاه وعفوه، وعلى الإضاءة الروحية من نوره الذي يفيض على الوجود، فيضيء لنا ظلمات البرزخ التي قد تتراكم في داخلها أشباح الموت في المرحلة التي تفصل بين نهاية الحياة وبداية يوم القيامة، التي قد يوحي بها قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٥]، والتي تتحدث عنها الأحاديث المروية عن

١- سورة النحل/ الآية:١٠-١١

٢- سورة يس/ الآية:٨٠

٣- سورة يس/ الآية:٧١- ٧٢

٤- سورة النحل/ الآية:٥-٨

٥- سورة المؤمنون/ الآية:١٠٠

أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ويسِّر لنا الطريق إلى البعث في رحلتنا النهائية من الأحداث إلى يوم المحشر، فتكون الطريق إليه مفتوحةً على رحمة الله ورضوانه، فلا نحسّ فيها جهداً ولا رهقاً، ويبلغ بنا درجة الشرف والعلوّ والرفعة في مواقعنا عند مواقف الأشهاد الذين يشهدون للناس وعليهم بما قاموا به من أعمال الخير والشرّ، لننال بذلك النصر من الله سبحانه، على ما جاءت به الآية الكريمة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]، حيث نقف بين يدي الله عُراةً إلا من العمل الصالح، والأمل الكبير برحمة الله ورضوانه، فلا يملك أحد أن ينقذنا من عذاب الله إذا أراد أن يعذِّبنا ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.[١]

وهكذا ينطلق هذا الحمد الإيماني المرتفع إلى الله من كلِّ قلوبنا، ليرتفع بنا إلى الدرجات العليا في أعلى علّيين، في كتاب مرقوم يشهده المقربون، لنعيش هناك روحانية القرب؛ قرب الروح، وسعادة المحبة لله الذي يمنحنا حبَّه من حيث يمنحنا قربه في ذلك العالم العلويّ، الذي يتجلّى الله فيه لعباده المؤمنين الحامدين الشاكرين، فيفيض عليهم من رحمته ولطفه ورضوانه، ويغمرهم بالسعادة الروحية، حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.

فتقرّ بذلك عيوننا، وتشرق بالسرور، وترتاح في نظرتها إلى الأفق الرحب

---

١- سورة الدخان/ الآية:٤١

أمامها بهدوء واطمئنان، في اليوم الذي تبرق فيه الأبصار، وتتحير فزعاً فلا تطرف، أو دهشة فلا تبصر.

وتبيضُّ به وجوهنا، من خلال البهجة الروحية التي تنعكس نوراً على الوجوه من خلال النتائج الطيبة الفَرِحة، بما يحصل عليه المؤمنون من ثواب الله في جنّته ورضوانه.[١]

**١٠ـ المنهج التربوي في حركة الإنسان من خلال أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ :**

وفي ضوء هذا، كان المنهج الإسلامي التربوي في حركة الانسان من خلال ادعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يعمل على التخطيط لبداية اليوم الإنساني في بداية اليوم الزمني، ليتحسس الإنسان وجوده كجزء من الوجود الكوني، وحركته كجزء من حركة الإنسان في الوجود الإنساني العام، وليعيش الإحساس بأنه مخلوق الله وعبده الخاضع له في تكوينه، فلا بدّ من أن يكون خاضعاً له في تشريعه، وأنّه ليس موجوداً مستقلاً أو كائناً منفصلاً عن المخلوقات الأخرى، فالكلّ خاضع لتدبير الله، ومنفعل بإرادته، وسائرٌ في خطّ هداه.

ولذلك أراد الله للإنسان أن يستقبل صباحه ومساءه بالتسبيح والتحميد، لينفتح تصوره على عظمة الخالق فيما يوحي به تسبيحه من أسرار عظمته ومواقع قوته، وفيما يتضمنه تحميده من صفات حمده، وهكذا جاءت الآية الكريمة في

---

١- السيد محمد حسين فضل الله، آفاق الروح - الجزء الأول، إسم الناشر: دار الملاك للطباعة والنشر، مكان النشر: لبنان - حارة حريك، تاريخ النشر: ٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ، الطبعة: الأولى،

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[١]

وأضافت إلى ذلك عمق الزمن اليومي ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[٢]، حتى يكون الزمن في حركته وعياً لله في عظمته وحمده.

وهذا ما نلاحظه في التوقيت اليومي الزمني للصلاة، لتكون الصلاة بداية عمله، فتكون كلّ لحظاته الزمنية في أعماله الأخرى صلاةً متجسدةً في الخضوع لله والامتثال لأوامره ونواهيه، مما يحصل عليه من معانيها وإيحاءاتها،، فهناك صلاةٌ للفجر تطلّ بالإنسان على آفاق الله في بداية يومه العملي وهناك صلاةٌ للظهر والعصر، تتوسط اليوم النهاري لتراقب حركة السير فيه، وما يستجدّ فيها من انحرافات عن الخط المستقيم، فتحتويها بالروحية التي يعود الإنسان فيها إلى ربّه، فلا يمتد به الانحراف ليمضي به بعيداً، وهناك صلاةٌ للمغرب والعشاء يبدأ بها ليله في أوائله، ويستغرق بها في كثافة ظلامه، حتى يكون ليله إلهياً، وبهذا تكون الصلاة حزاماً روحياً يحيط بوجود الإنسان في يومه وليلته، فلا يذهب بعيداً عن انحرافه، حتى يشدّه إلى الاستقامة من جديد في عملية جذب روحي يعيده إلى الله من جديد.

**أَللَّهُمَّ فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الإِصْبَاحِ، وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ، وَبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ الأَقْوَاتِ، وَوَقَيْتَنَا فِيهِ مِنْ طَوَارِقِ الآفَاتِ.**

**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَتِ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِجُمْلَتِهَا لَكَ، سَمَاؤُهَا وَأَرْضُهَا وَمَا بَثَثْتَ**

---

١- سورة ق/ الآية:٣٩

٢-سورة ق/ الآية:٤٠،

فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما، سَاكِنُهُ وَمُتَحَرِّكُهُ، وَمُقِيمُهُ وَشَاخِصُهُ، وَمَا عَلاَ فِي الْهَوَاءِ وَمَا كَنَّ تَحْتَ الثَّرَى.

أَصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ يَحْوِينَا مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ، وَتَضُمُّنَا مَشِيَّتُكَ، وَنَتَصَرَّفُ عَنْ أَمْرِكَ، وَنَتَقَلَّبُ فِي تَدْبِيرِكَ، لَيْسَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ إِلاَّ مَا قَضَيْتَ، وَلاَ مِنَ الخَيْرِ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَ.

وَهَذا يَوْمٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ، إِنْ أَحْسَنَّا وَدَّعَنَا بِحَمْدٍ، وَإِنْ أَسأْنَا فَارَقَنَا بِذَمٍّ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وارْزُقْنا حُسْنَ مُصَاحَبَتِهِ، وَاعْصِمْنا مِنْ سُوءِ مُفَارَقَتِهِ بِارْتِكَابِ جَرِيرَةٍ أَوِ اقْتِرافِ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الحَسَنَاتِ، وَأَخْلِنا فيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَامْلأْ لَنَا مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْداً وشُكْراً وَأَجْراً وَذُخْراً وَفَضْلاً وَإِحْساناً.

أَللَّهُمَّ يَسِّرْ عَلَى الكِرامِ الكاتِبِينَ مَؤُونَتَنَا، وَامْلأْ لَنَا مِنْ حَسنَاتِنا صَحَائِفَنَا، وَلاَ تُخْزِنَا عِنْدَهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِنَا.

أَللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ من سَاعَاتِهِ حظّاً مِنْ عِبَادِكَ، وَنَصِيباً مَنْ شُكْرِكَ، وَشَاهِدَ صِدْقٍ مِنْ مَلاَئِكَتِكَ.

**١١ـ المضامين التي اشتملت عليها الصحيفة السجادية:**

أراد الإمام زين العابدين إيجاد ثورة فكرية عامة، تتضمن جميع النواحي والموارد العلمية التي تحتاجها الأمة، سواء في النواحي الأخلاقية، أم النواحي العقائدية، أم النواحي الروحية، وغير ذلك...

أن المنهج الإصلاحي الذي اتخذه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في قيادة الأمة كانت إحدى مفرداته الدعاء، وإحدى جزئيات الدعاء كانت الصحيفة السجادية.

ولابد أن تكون الصحيفة السجادية متضمنة لكل هذه الأمور ومشتملة عليها.

سنشير في هذا المورد الى بعض ما تضمنته الصحيفة السجادية من مضامين متعددة النواحي

**: بعض تلك المضامين**

١-تقوية الجانب العقدي عند الأمة من خلال ذكر صفات الله سبحانه وتعالى الثبوتية أو السلبية وبيان سعة قدرته سبحانه وتعالى.

وهذا المعنى نراه يتكرر منه عَلَيْهِ السَّلَامُ في كل دعاء تقريباً، وبأساليب مختلفة، فنقرأ مثلاً قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ

**أَلْحَمْدُ لله الاوَّلِ بِلا أَوَّل كَانَ قَبْلَهُ، والاخِر بِلاَ آخِر يَكُونُ بَعْدَهُ. الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوهامُ اَلْوَاصِفِينَ. ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ اَبتِدَاعَاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اختِرَاعاً.**[١]

---

١- الصحيفة السجادية،الدعاء الأول

فنلاحظ دقته عَلَيْهِ السَّلَامُ في التعبير عن الله سبحانه بالأول والآخر وهما صفتان من صفات الله سبحانه فيتحدث عنهما بطريقة تظهرهما بوجه يغاير وجودهما عند المخلوق وواضح أن هذا نوع تركيز للجانب العقدي عند الداعي.

ومما أشار له عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الجانب تنزه الذات المقدسة عن أن تحاط ببصر أو وهم ثم يختم دعائه بالتعرض لدقيق معنى الخلق والتكوين.

ومن الواضح أن هذا من الأدعية التي تركز أصل التوحيد في النفوس وتؤكد قضية القدرة الإلهية.

ونقرأ منه عَلَيْهِ السَّلَامُ أسلوباً آخر في بيان قدرته سبحانه وتعالى وتدبيره في دعاء آخر:

**الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُولِجُ كُلَّ وَاحِد مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِير مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ، فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيْهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ جَمَاماً وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً.**[١]

إلى آخر ما تعرض له في هذا الدعاء من فوائد خلق الليل والنهار وما ينبغي للإنسان في شكره لهذه النعم.

ونجده عَلَيْهِ السَّلَامُ تعرض أسلوباً ثالثاً في بيان أن جميع الأمور بيده عز وجل فلاحظ قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ :

---

١ - الصحيفة السجادية،الدعاء رقم ٦

**يَا مَن تُحَلُّ بِهِ عُقَدُ المَكَارِهِ، ويَا مَن يَفثَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، ويَا مَن يُلتَمَسُ مِنهُ المَخرَجُ إِلَى رَوحِ الفَرَجِ.**

**ذَلَّت لِقُدرَتِكَ الصِّعَابُ، وتَسَبَّبَت بِلُطفِكَ الأَسبَابُ، وجَرَى بِقُدرَتِكَ القَضَاءُ، ومَضَت عَلَى إِرَادَتِكَ الأَشيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَولِكَ مُؤتَمِرَةٌ، وبِإِرَادَتِكَ دُونَ نَهيِكَ مُنزَجِرَةٌ.**[١]

فهذا الدعاء يمثل نموذجاً من نماذج الابتهالات الروحية في مثل هذه الحالات التي تعرض للإنسان ليتنفس من خلالها روح الأمل ويعيش الإحساس بالطمأنينة الروحية من خلال جولة فكرية روحية في آفاق قدرة الباري جل وعلا وسيطرته على الكون والإنسان.

فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير هنا إلى أن الإيمان يمثل القوة الروحية التي تمنح الإنسان المؤمن المناعة من السقوط حتى لو عاش حالة الاهتزاز لأن إحساسه بوجود الله سبحانه وأنه يرحم عباده ولا يهملهم ولا يخذلهم بل يرعاهم برعايته ويحفظهم حتى لو ابتلاهم ببعض المشاكل يجعله يملك قوة تفتح له أبواب الفرج.

السعي إلى تربية الداعي على القيم الأخلاقية من خلال دعوته إلى الترفع عن مساوئ الأفعال وخسائس الصفات لتنقية ضميره وتطهير قلبه قال عَلَيْهِ السَّلَامُ :

**أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِح لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيْغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْد لاَ أَشُكُّ فِيْهَا وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ**

---

١-الصحيفة السجادية،دعاء الأمن للإمام زين العابدين

إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

أَللَّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إلاّ أَصْلَحْتَهَا، وَلا عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إلاّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إلاّ أَتْمَمْتَهَا.[١]

والحاصل يضع هذا الدعاء برامج للأخلاق الروحية والاجتماعية التي يسمو بها الإنسان

## ١٢ـ تضمين معنى الآية في الدعاء:

ولعلَّ أول ما يطالعنا في هذا السفر الخالد هو قدرة الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ الفائقة علىٰ تجسيد العلاقة بين العبد وربّه، أو بين الخالق والمخلوق، وبأسلوب أدبي رفيع ومناجاة عذبة صادقة يصدق أن يُقال فيها ما قيل في أقوال جدّه علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّها تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق فعلاً.

بعض ما جاء في أدعيته:

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُما حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُوْلِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبُهُ فِيهِ بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِي ما يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ.

تضمين معنوي لقوله تعالى:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي

١ – المصدر السابق،الدعاء رقم ٢٠

لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[١]

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا.[٢]

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾[٣]

فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لِباساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ لَهُمْ جَماماً وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً، وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إلى رِزْقِهِ وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ العاجِلِ مِنْ دُنياهُمْ، وَدَرَكُ الآجِلِ في أُخْرَاهُمْ، بِكُلِّ ذلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ وَيَبْلُو أخبارَهُمْ وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ في أَوْقاتِ طاعَتِهِ وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ وَمَوَاقِعِ أحكامِهِ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أساءوا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى.

**وهي تضمين قوله تعالى:**

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[٤]

لم يتعرض الإمام إلى لفظ الآية لا بتمامها ولا بجزئها وإنما بمعناها، فضمن

---

١- سورة فاطر/ الآية: ١٣

٢- سورة الاسراء/ الآية ١٢

٣- سورة يونس/ : من الآية٦٧

٤- سورة النبأ/ الآية: ٩- ١٠ -١١

المعنى ضمن الدعاء بسياق مشابه للقرآن دون اختلاف في النسق وهذه الطريقة متوفرة بكثرة في الصحيفة السجادية وفي الواقع إن هذه الطريقة – وهي تضمين معنى الآية في القرآن – قمة «التفسير الأدبي» الرائع لآيات القرآن الكريم فهي تبسط معنى الآية وتوضحها في أوجز عبارة وأنصعها وأدق لفظة وأفصحها وتبيين محتواها والكشف عن معناها.

**وفي مناجاة «المطيعين لله»:**

«إلهي اجعلني من المصطفَيْن الأخيار، وألحقني بالصالحين الأبرار، السابقين إلى المكرمات المسارعين إلى الخيرات، العاملين للباقيات الصالحات، الساعين إلى رفيع الدرجات، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير برحمتك يا أرحم الراحمين».

وفي ذلك تضمين لمعاني عدة جاءت في القرآن الكريم الحديث عن المصطفين الأخيار من الأنبياء وطلب الإمام ليكون منهم كما جاء في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [١]

كما طلب أن يتوفاه الله مع الأبرار «وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» لماذا؟

لأن الأبرار في نعيم كما جاء في القرآن: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [٢]

ثم استعرض صفات هؤلاء الأبرار والتي منها المسارعة في الخيرات كما في

---

١- سورة صّ/ الآية:٤٧

٢- سورة الانفطار/ الآية:١٣

قولـه تعـالى: ﴿فَاسْـتَبِقُوا الْخَـيْرَاتِ﴾ [١]

﴿وَيُسَـارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِـنَ الصَّالِحِينَ﴾ «آل عمـران: من الآية ١١٤».

﴿يُسَـارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [٢]

وقـال عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناجـاة الذاكريـن: «ـ إِلهِـي فَأَلْهِمْنـا ذِكْـرَكَ فِي الْخَـلاءِ وَالْمَـلاءِ، وَاللَّيْـلِ وَالنَّهـارِ، وَالإِعْـلانِ وَالإِسْرارِ، وَفِي السراء والـضراء وَآنِسْـنا بِالذِّكْـرِ الْخَفِـيِّ، وَاسْـتَعْمِلْنا بِالْعَمَـلِ الزَّكِـيِّ، وَالسَّـعْيِ الْمَـرْضِيِّ، وَجازِنـا بِالْمِيـزانِ الَـوَفِيِّ،

ـ إِلهِي بِـكَ هامَـتِ الْقُلُـوبُ الْواهِلَـةُ، وَعَـلى مَعْرِفَتِـكَ جُمِعَـتِ الْعُقُـولُ الْمُتَباينَـةُ، فَـلا تَطْمَئِـنُّ الْقُلُـوبُ إِلاَّ بِذِكْـراكَ، وَلا تَسْـكُنُ النُّفُـوسُ إِلاّ عِنْـدَ رُؤْيـاكَ، أَنْـتَ الْمُسَـبَّحُ فِي كُلِّ مَـكان، وَالْمَعْبُـودُ فِي كُلِّ زَمـان، وَالْمَوْجُـودُ فِي كُلِّ أَوان، وَالْمَدْعُـوُّ بِـكُلِّ لِسـان، وَالْمُعَظَّـمُ فِي كُلِّ جَنـان، وَأَسْـتَغْفِرُكَ مِـنْ كُلِّ لَـذَّة بِغَـيْرِ ذِكْـرِكَ، وَمِـنْ كُلِّ راحَـة بِغَـيْرِ أُنْسِـكَ، وَمِـنْ كُلِّ سُرُور بِغَـيْرِ قُرْبِـكَ، وَمِـنْ كُلِّ شُـغْل بِغَـيْرِ طاعَتِـكَ.

الإمـام زيـن العابديـن يحرّرنـا مـن هـذه النظـرات، يجعلنـا ننظـر إلى الله نظـرة حـبّ وشـوق وعشق.

**وقـي مناجاتـه مناجـاة العارفـين**، يقـول:" اللهـم اجعلنـا مـن الذيـن ترسّـخت أشـجار الشـوق في حدائـق صدورهـم، واجعلنـا ممّـن أخـذت محبّتـك بمجامـع قلوبهـم، فهـم إلى أوكار الأفـكار يـأوون، وفي ريـاض القـرب والمكاشـفة يرتعـون، ومـن حيـاض المحبّـة بـكأس الملاطفـة يكرعـون، وشرائـع المصفـاة يـردون، اللهـم

١- سورة البقرة/ : من الآية١٤٨

٢- سورة الأنبياء/ : من الآية٩٠

اكشف الظلمة عن أبصارنا، والريب عن ضمائرنا وعقائدنا"، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[١]

**ومنها عمل الباقيات الصالحات كما يشير إليها القرآن الكريم:**

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾[٢]

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[٣]

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً﴾ [٤]

وفي دعاء يوم الأحد يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ : «واحفظني بعينك التي لا تنام» وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[٥]

وفي دعائه لنفسه ولأهل بيته جاء قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «... ومن هديت لم يغوه إضلال المضلين...» وهذا معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ [٦]

ومن دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبويه «...**وأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وإِنْ كَثُرَ. اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي، وأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي**» وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ

---

١- سورة البقرة/ الآية ١٦٥

٢- سورة الكهف: من الآية٢

٣- سورة الكهف/ الآية:٤٦

٤-سورة مريم/ الآية:٧٦

٥- سورة البقرة: من الآية٢٥٥

٦- سورة الكهف: من الآية١٧

مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [١]

ومن دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ عند الاستسقاء بعد الجدب «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيعاً مُمْرِعاً عَرِيضاً وَاسِعاً غَزِيراً، تَرُدُّ بِهِ النَّهِيضَ، وتَجْبُرُ بِهِ الْمَهِيضَ».

والإمام هنا طلب السقاية بالغيث بعد الجدب كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [٢]

ولم يقل مطرنا كما هو متعارف بين الناس لأن المطر يستخدم للعذاب وليس للرحمة كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ [٣]

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [٤]

وفي دعائه في صلاة الليل:

«اللَّهُمَّ وأَنْتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً مِنْ صُلْبٍ مُتَضَايِقِ الْعِظَامِ، حَرِجِ الْمَسَالِكِ إِلَى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ، تُصَرِّفُنِي حَالًا عَنْ حَالٍ حَتَّى انْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ، وأَثْبَتَّ فِيَّ الْجَوَارِحَ كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عِظَاماً ثُمَّ كَسَوْتَ الْعِظَامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقاً آخَرَ كَمَا شِئْتَ».

---

١- سورة الاسراء/ الآية:٢٤

٢- سورة الشورى/ الآية:٢٨

٣- سورة الفرقان/ الآية:٤٠

٤- سورة الشعراء/ الآية:١٧٣

هـذه إشـارة إلى قولـه تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الْإِنْسَـانَ مِـنْ سُـلَالَةٍ مِـنْ طِـينٍ ثُـمَّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً فِي قَـرَارٍ مَكِينٍثُـمَّ خَلَقْنَـا النُّطْفَـةَ عَلَقَـةً فَخَلَقْنَـا الْعَلَقَـةَ مُضْغَـةً فَخَلَقْنَـا الْمُضْغَـةَ عِظَامـاً فَكَسَـوْنَا الْعِظَـامَ لَحْـماً ثُـمَّ أَنْشَـأْنَاهُ خَلْقـاً آخَـرَ فَتَبَـارَكَ اللهُ أَحْسَـنُ الْخَالِقِـينَ﴾[١]

## في الصحيفة السجادية

### ١٣ـ من مظاهر التربية الاجتماعية ومضامينها

ضمّـن الإمـام عَلَيْهِ السَّلَامُ أدعيتـه التـي تمثّلـت في الصحيفـة الكاملـة وسـائر الأدعيـة التـي وصلـت عنـه منهاجـا كامـلا للحيـاة الإنسـانية، ولم يـترك الإمـام جانبـا ممـا تحتاجـه الأمـة الإسـلامية إلا وتعـرض لـه وعالجـه بأسـلوبه الفـذ وبلاغتـه البديعـة، ومـن هـذه المظاهـر:

**من مظاهر التربية الاجتماعية ومضامينها، والتي تتمحور في:**

**١. تكريم الإنسان:**

أكـد الله تعـالى في كثـير مـن الآيـات التـي عرّفـت الإنسـان بأنـه أفضـل المخلوقـات وأنـه خليفـة الله في الأرض وحامـل أمانتـه، وهـو مـن سـجد لـه الملائكـة جميعـا، فهـو الغايـة مـن خلقـة سـائر المخلوقـات.[٢]

---

١- سورة المؤمنون/ الآية:١٢-١٤

٢-ظ: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم - محمد بسام الزين - ١-١٨٦- ١٨٧

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.[١]

إن تكريم الإنسان في القرآن هو تكريم لذاته الإنسانية قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٢]

فهذا التكريم هو جامع لكل الخير والشرف والفضائل.[٣]

نجد أن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تأثر بهذه الآيات في دعائه، إذا ابتدأ بالدعاء بدءاً بحمد الله عز وجل والثناء عليه، لتحسينه تلك الصورة الإنسانية وجعلها مفضلة على سائر المخلوقات يقول: (**والْحَمْدُ للهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ خَلِيقَتِه مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وصَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه**)[٤]

فالمراد من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا هو الشكل والصورة، خلق سبحانه الإنسان في أحسن خلقة وأحكمها وأدقها.[٥]

---

١- سورة الإسراء / الآية: ٧٠

٢-سورة التغابن/ الآية: ٣

٣- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ،حرف الكاف( باب الكاف مع الراء)

٤- الصحيفة السجادية/ ٣٠

٥- في ظلال الصحيفة السجادية/ ٦٣

٢. بر الوالدين :

أكد الله سبحانه وتعالى على وجوب طاعة الوالدين والبر بهما وقرن حقهما بحقه ،وعدَّ عقوقهما من الكبائر ،وهو - العقوق - نكران للمعروف في حق الوالدين كما أنه نكران الحق لله تعالى؛ لأن العاق قد تجاهل وصية الله في الوالدين، فقد قال عز وجل:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [١]

مهما قدّم الولد لوالديه فإنه لن يؤديهما حقهما ،ومن هنا كان دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبويه عَلَيْهِ السَّلَامُ نجده قد تأثر بمفردات من الآية أعلاه، فيقول فيه: (**اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي ، وأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي ، وأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِي ، واعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي ، وصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً ، وعَلَيْهِمَا شَفِيقاً ،اللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي ، وأَثِبْهُمَا عَلَى تَكْرِمَتِي ، واحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاه مِنِّي فِي صِغَرِي ،اللَّهُمَّ ومَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذًى ، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوه ، أَوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهُمَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْه حِطَّةً لِذُنُوبِهِمَا ، وعُلُوّاً فِي دَرَجَاتِهِمَا ، وزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا ، يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ**)[٢]

فمن حقوق الآباء أن يكون أبناؤهم مجدين مطيعين لهم.

---

١- سورة الإسراء/ الآية : ٢٣ - ٢٤

٢- الصحيفة السجادية/ ١١٦

**٣. تربية النفس على مقابلة الإساءة بالإحسان من خلال أدعيته عَلَيْهِ السَّلَامُ :**

المشاكل الاجتماعية بين الأفراد إنما تبدأ بخطأ من طرف أو شخص فإذا قوبل الخطأ بتصرف من جنسه كردّ فعلٍ عليه، ترسخت المشكلة وتعقدت ،وهذا لا يتوافق ما تدعو إليه التربية الاجتماعية السليمة في مقابلة الإساءة بالإحسان ،لإزالة آثار الإساءة من القلوب أولاً، ومن الواقع الاجتماعي ثانيا، ولإشاعة الإحسان كسبيل أمثل للتعامل الاجتماعي ونقرأ هذه الدروس الرائعة في دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكارم الأخلاق ومرضيً الأفعال :

**(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه ، وسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ ، وأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ)**[١]

، فالإمام في دعائه هذا تأثر بكلماته من مجموعة من الآيات القرآنية: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾[٢]

في هذا الدعاء تبرز علامات التضرع والخضوع عند الداعي، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يناجي رب العالمين ويقول ربي سددني ووفقني أقابل وأكافي بالخير من أراد بي سوءا، فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يطوف بالليل متنكرا على بيوت الفقراء ويوزع عليهم

---

١- الصحيفة السجادية/ ٩٤

٢- سورة الرحمن / الآية: ٦٠

الدراهـم والدنانـير.[١]

فأي تربية اجتماعية في اقتلاع الأمراض الاجتماعية أفضل من هذه التربية؟

### ٤. التربية على الإصلاح بين الناس وخدمتهم:

مـن أهـم المشـاكل التـي قـد تهـدد الجماعـات البشريـة نشـوء الفرقـة والاختـلاف المؤديـة إلى التنـازع والـذي هـو الطريـق الحتمـي للفشـل والوهـم ، ونـرى في عبـارات أدعيـة الإمـام عَلَيْهِ السَّلَامُ صفـات الـدور الاجتماعـي للمتقـين الصالحـين ،فـكأن مـن دعائـه عَلَيْهِ السَّلَامُ في مـكارم الأخـلاق ومـرضى الأفعـال يقـول :( **اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وآلِـه ، وحَلِّنِي بِحِلْيَـةِ الصَّالِحِـينَ ، وأَلْبِسْـنِي زِينَـةَ الْمُتَّقِـينَ ، فِي بَسْـطِ الْعَـدْلِ ، وكَظْـمِ الْغَيْـظِ ، وإِطْفَـاءِ النَّائِـرَةِ ، وضَـمِّ أَهْـلِ الْفُرْقَـةِ ، وإِصْـلَاحِ ذَاتِ الْبَـيْنِ ، وإِفْشَـاءِ الْعَارِفَـةِ ، وسَـتْرِ الْعَائِبَـةِ ، ولِـينِ الْعَرِيكَـةِ ، وخَفْـضِ الْجَنَـاحِ ، وحُسْـنِ السِّـيرَةِ ، وسُـكُونِ الرِّيـحِ ، وطِيـبِ الْمُخَالَقَـةِ ، والسَّـبْقِ إِلَى الْفَضِيلَـةِ ، وإِيثَـارِ التَّفَضُّـلِ ، وتَـرْكِ التَّعْيِـيرِ ، والإِفْضَـالِ عَـلَى غَـيْرِ الْمُسْـتَحِقِّ ، والْقَـوْلِ بِالْحَـقِّ وإِنْ عَـزَّ ، واسْـتِقْلَالِ الْخَـيْرِ وإِنْ كَثُـرَ مِـنْ قَـوْلِي وفِعْـلِي**).[٢]

فهنـا كان تأثـر الإمـام زيـن العابديـن عَلَيْهِ السَّلَامُ لكلـمات دعائـه مـن مجموعـة مـن الآيـات القرآنيـة منهـا قولـه تعـالى: ﴿**الَّذِيـنَ يُنفِقُـونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ**

---

١- ظ: في ظلال الصحيفة السجادية/ ٢٦٠

٢- الصحيفة السجادية/ ٩٦

الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإصلاح مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٢]

فالصاحون المتقون ليسوا منقطعين إلى محراب العبادة وتربية النفس فحسب بل أن دورهم الاجتماعي يدعوهم لإقامة العدل، ونشره وجمع الكلمة على التقوى من خلال التخلص من النزعات والفتن.

كذلك لا بد من أمور أخرى كإصلاح ذات البين، وإفشاء المعروف ونشره، ونبذ المنكرات وطردها.. وغيرها، فهذه المهمات الاجتماعية التي يتعلمها المسلمون من هذا الدعاء تجعل الدور الاجتماعي للدين حاضرا باستمرار وضروريا في المجتمع، وبدونه سيبقى المجتمع يتخبط تخبط العشواء في جميع جوانبه ما يؤدي إلى كثرة الأوبئة والأمراض وتشتت المجتمعات، وغير ذلك من الأمور الخطيرة التي تؤدي إلى القتال الدموي كما نشاهد ذلك في مجتمعنا الحالي.

---

١- سورة آل عمران/ الآية: ١٣٤

٢- سورة هود/ الآية: ٨٨

### ١٤ـ أثر المظاهر الاجتماعية والإقتصادية في أدعيته:

كان للمظاهر الاجتماعية والاقتصادية أثر بارز في أدعية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد وظّف في أدعيته مفردات قرآنية تكون استدلالاً على الآداب والأخلاق التي يجب مراعاتها مع الوالدين، وجزاء الإحسان بالإحسان، وكيفية التعاون مع أبناء المجتمع وتقديم الخدمة لهم.

من المظاهر الموجودة في أدعية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مظاهر اقتصادية تبين لنا أهمية الاقتصاد وكيف يمكن أن نقدم العون للفقراء والمساكين، ووجوب الزكاة التطوعية، ونهانا الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التعامل مع أعداء الإسلام.

نفهم من هذا ان الامام عَلَيْهِ السَّلَامُ يحاول انتشالنا من أنفسنا التي تغوينا وترسل بنا الى مهاوي الظلمات وكان دعاءه هذا بمثابة هدى ونور، فهو يحاول بألفاظه المنتقاة ان يحمي تلك النفس من شرها والتي تذهب بنا كل مذهب وتجنح نحو كل لذة من دون رادع او مرشد، فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ يوقظ الضمير بكلماته المستوحاة من قدسية وانوار القران ورونقه، علنا نترك الدنيا الزائلة ونرى ببصيرتنا الاخرة الباقية.

فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا قد اقتبس معاني كلماته من تكاثف قرآني المتمثل في الآيات القرآنية الآتية:

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [١]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٢]

**وقوله تعالى:**

﴿يأيها الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٣]

ما يعكس ثقافة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وتأثره بالوحي القرآني، فرسم بصورة مؤدبة متآلفة حقيقة الرزق الحلال للمؤمنين، وكيفية الإنفاق فهو ليس طلب للرزق بصورة مادية وإنما طلب بصورة معنوية للروح الإنسانية.

---

١-
سورة المائدة/ الآية: ٨٨

٢- سورة الأعراف/ الآية: ٣٢

٣-سورة البقرة/ الآية: ٢٦٧

**: فريضة الزكاة ووجوب الصدقات التطوعية وإعانة الفقراء**

كان الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ كثير العطف والحنان على الفقراء والمساكين، كثير التصدق عليهم، وكان يعجبه أن يحضر على مائدة طعامه اليتامى والأضراء، والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، كما كان يحمل لهم الطعام أو الحطب على ظهره حتى يأتي باباً من أبوابهم فيناولهم إياه، كما جاء في كتابة (الحلية) لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ه) إن الأمام عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به، ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل) [١]

ويبرز هذا جلياً في دعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ في طلب التوفيق لمعونة الفقراء على قضاء الدين (**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ، وأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، ومَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ فَاذْخَرْه لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ، واجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وعَجِّلْتَ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً إِلَى جِوَارِكَ ووُصْلَةً إِلَى قُرْبِكَ وذَرِيعَةً إِلَى جَنَّتِكَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ**).[٢]

فقد ضمن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه وجمله بمفردات من القرآن الكريم والتي جاءت في عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [٣]

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا** الزَّكَاةَ

---

١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أبي نعيم الأصبهاني/ ٣/ ١٣٧

٢- الصحيفة السجادية/ ١٣٨

٣- سورة البقرة/ الآية: ٤٣

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١]

وقوله تعالى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٢]

## ١٥ـ منهج الامام السجاد في مواجهة الفرق المنحرفة استناداً الى القرآن الكريم والادعية المباركة:

تعرّض اهل البيت طيلة حياتهم إلى شتي انواع الظلم والمكايد والتعسف، فراح اعدائهم يحيكون الخدع السياسية والثقافية لتشويه سمعة الإسلام. فقد سادت الحياة السياسية في عصر أهل البيت ألوان من القلق والاضطراب، حيث خيم الذعر والخوف على الناس وفقدوا جميع أشكال الأمن والاستقرار، مما سبب تفكك المجتمع وشيوع الأزمات السياسية الحادة، واندلاع الثورات المتلاحقة.

وكان الهدف الرئيسي الذي تسعي إليه هذه الفرق هو افراغ مدرسة اهل البيت من الكفاءات

---

١- سورة البقرة/ الآية: ٢٧٧

٢- سورة البقرة/ الآية: ١٧٧

العلمية، والشخصيات الرِّسالية والعناصر الثقافية، اضافة إلى سياسة التجهيل العامة التي تبنتها الفرق المنحرفة في المجتمع الإسلامي، ومن هذا المنطلق رسم «الإمام علي بن الحسين معالم مدرسته الاسلامية ونهجه المقاوم لمواجهة هذه الفرق المنحرفة، استناداً الى القرآن الكريم، وأدعية عالية المضامين تستند كلها لوحي القرآن الحكيم.

**بين منهج الدعاء ومنهج القرآن:**

ان محاربة الظالمين وفضح مخططاتهم التآمرية جزء لا يتجزأ من رسالة المسلم. كما ان عداء الظالمين والتصدي لهم منهج قرآني لا لبس فيها ولا غبار عليها.

في القرآن الكريم آيات كثيرة في القدح بالظالمين ولعنهم والدعوة الي اعلان الحرب عليهم.

حيث أن رسالة الامام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنهجه يستند الي مبادئ من رسالة القرآن ومنهجه في مواجهة الظالمين.

وبخصوص الدعاء على الظالمين نلاحظ عليه سيماء القرآن، فهو بين فقرات مستمدة من منهج القرآن وبين فقرات منسجمة معها، وبين فقرات ناظرة اليها.

اللهم إن الظلمة كفروا بكتابك، وجحدوا آياتك، وكذبوا رسلك، وبدلوا ما جاء به رسولك، وشرعوا غير دينك، وسعوا بالفساد في أرضك وتعاونوا على إطفاء نورك، وشاقوا ولاة أمرك، ووالوا أعداءك وعادوا أولياءك، وظلموا أهل بيت نبيك.

اللهم فانتقم منهم، واصبب عليهم عذابك، واستأصل شأفتهم، اللهم إنهم اتخذوا دينك دغلا، ومالك دولا، وعبادك خولا، فاكفف بأسهم، وأوهن كيدهم، واشف منهم صدور المؤمنين، وخالف بين قلوبهم وشتت أمرهم، واجعل بأسهم بينهم واسفك بأيدي المؤمنين دماءهم، وخذهم من حيث لا يشعرون، اللهم صل على محمد وآل محمد.[١]

١-منهج الدعاء: ان الظلمة حجدوا آياتك.

منهج القرآن: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. [٢]

٢-منهج الدعاء: وكفروا بكتابك.

منهج القرآن: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ. [٣]

٣-منهج الدعاء: وتعدّوا حدودك. م

نهج القرآن: تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.[٤]

٤-منهج الدعاء: واقطع دابرهم.

**منهج القرآن:** فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. [٥]

---

١- فيما يختص باليوم الثامن عشر من دعاء غير متكرر دعاء اليوم الثامن عشر من شهر رمضان، عنه البحار ٩٨ : ٤٨

٢- سورة الانعام/ الأية ٣٣

٣-سورة المائدة/ الأية ٤٤

٤- سورة البقرة / الأية ٢٢٩

٥-سورة الانعام/ الاية ٤٥

٥-منهج الدعاء: واشف صدور المؤمنين.

منهج القرآن: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ.[١]

ويمكن ان نضيف لما سبق الدعاء التالي:

-منهج الدعاء: وحاسبهم حساباً شديداً وعذّبهم عذاباً نكرا واجعل عاقبة امرهم خسرا٦

منهج القرآن: وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَعَذَّبْناها عَذَابا نُكْراً - فَذَاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً.[٢]

## ١٦ـ التأثر بالوصف القرآني في أدعية الإمام زين العابدين :

جمع الامام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ الكثير من الامور التي تصيب الفرد جراء اتباعه لهواه وسيطرة الشيطان عليه، ولأنه قد تربى على اسلوب القران وبلاغته وداوم على قراءته وتأمل معانيه فقد امتزجت اغلب مناجاته بروح النص القرآني، ففي هذه الصيغة التي وردت نجد كثيرا من آيات القران الكريم حاضرة بألفاظها.

انما جاء لتعلقه بأسلوب كتاب الله سبحانه لكثرة عبادته ونقاء سريرته وكون اسلوب القران يتسم بالفخامة والقوة والجلال والمتأتية من انتقاء الالفاظ

١- سورة التوبة/ الاية ١٤

٢- سورة الطلاق/ الأية ٨و٩

للمعاني السامية، التي لا امتهان فيها ولا ابتذال.

اشتملت اقتباساته عَلَيْهِ السَّلَامُ على اغلب الآيات التي توافرت فيها سبل المغفرة والرحمة وهذا دليل على ترسخ القران في روحه الكريمة. تضمنت مناجاته الكثير من الفاظ القران، وقد صاغها ببراعة تامة ولغة عالية الجودة لا يتسنى للمرء العادي ان يجيدها، ذلك بانه عَلَيْهِ السَّلَامُ مداوم على قراءة القران وتفسيره وفهم نصوصه ومحكمه ومتشابه، ولذلك جاءت الفاظه شديدة التأثر بألفاظ القران الكريم.

إن القرآن الكريم يحمل قيمة معنويَّة عالية وقداسة خطابيَّة، ولقداسته وجماله نجد أدعية الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ متأثرة به وذلك بتضمن آيات قرآنية فيكون التأثر تارة نصياً مباشراً، وتارة تأثراً معنوياً، وهذه التأثيرات أضافت للنصوص الدعائيَّة جمالية كي يستمتع القارئ أو السامع للنص الدعائي وتأثره به.

حيث وصف الجنة وما فيها من نعيم مقيم، وأنهار جارية ومنازل كريمة وحور حسان وغير ذلك مما يتجلى في دعائه – مثلاً – لأهل الثغور المرابطين للدفاع عن خوذة الإسلام إذ يقول:

**«واجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، ولَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ ومَنَازِلِ الْكَرَامَةِ والْحُورِ الْحِسَانِ والْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ والْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْإِدْبَارِ، ولَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ»**.

فهذا النص الوصفي بيان بليغ لشيء مما ورد في القرآن من وصف الجنة وما

فيها من متع وخيرات.

فقوله في الحور العين تفسير وتبيين لقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ *فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [١]

ومثله قوله «والأشجار المتدلية بصنوف التمر» الذي هو تفسير وتبيين لقوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [٢]

وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾[٣]. وغير ذلك من الأمثلة.

نجد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ تأثر بكلماته من قوله تعالى: ﴿وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [٤]

يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه إذا اعتدى عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب **(اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وخُذْ ظَالِمِي وعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ، وافْلُلْ حَدَّه عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، واجْعَلْ لَه شُغْلًا فِيمَا يَلِيه، وعَجْزاً عَمَّا يُنَاوِيه)**[٥]

**ومن مناجاة الراجين** قال عَلَيْهِ السَّلَامُ **(وإذا توكل عليه احسبه وكفاه)**[٦]

وهذا لفظ مستعمل كثيرا عند الناس وهو من قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

---

١- سورة الرحمن/ الآية: ٧٢-٧١-٧٠

٢- سورة الرحمن/ : من الآية٥٤

٣- سورة الإنسان/ الاية:١٤

٤- سورة الشورى / الآية: ٤٠

٥- الصحيفة السجادية/ ٧٢

٦- الصحيفة:مناجاة الراجين:١٩٩

اللهَّ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[١]

**وقوله في مناجاة الخائفين (وفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)**

وهو نص قوله تعالى ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢]

وبطبيعة الحال فان الامام عَلَيْهِ السَّلَامُ انما يدعونا في هذه المناجاة الى تحرير أنفسنا من الامر بالسوء وذلك بالشكاية منها الى الله تعالى.

فالله سبحانه قد بين ان عموم النفس امارة بالسوء في قوله عز وجل ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[٣]

اما في مناجاة الشاكين فيقول (سلام الله عليه) :(اليك اشكو نفسا بالسوء **امارة**) [٤]

من الواضح هنا ان هذه العبارة تنم عن عدم تزكية النفس وتواضعها امام الله فهو قال (**اليك اشكو**) قدم شبه الجملة على الجملة ليكون القرار هو الشكوى المخصوصة لله سبحانه عمن سواه، يشكو المرء من نفسه (الامّارة) اي التي تبالغ في إمرته وسوقه الى السوء.

ومن خلال البحث في الاقتباس من القران وجدنا انه عَلَيْهِ السَّلَامُ يكثر من الالفاظ التي وردت على لسان الانبياء كما هو قوله (ضري لا يكشفه غير رأفتك)[٥]

---

١- سورة الطلاق/ الآية ١٣

٢- سورة ال عمران/ الآية: ٢٥

٣- سورة يوسف/ الآية:٥٣

٤- الصحيفة السجادية:مناجاة الشاكين:١٩٦

٥- الصحيفة السجادية :مناجاة المفتقرين ٢٠٩

وهذا يثبت انه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان ضريب القران يلهج به في سره واعلانه وفي اقواله وافعاله ودعائه ومناجاته.

ومن اقتباساته الرائقة قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ **(يا مجيب دعوة المضطرين)**[١]

فهو من قوله تعالى ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٢]

وقوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٣]

فهو يخبرنا بهذه الاقوال وسواها ان ما من كشف ضر الا وكان لله جل شانه يد فهو سبحانه رؤوف بعباده عطوف رحيم، كما لاحظت انه يختم جميع المناجيات بعبارة (ارحم الراحمين) ليعود أنفسنا ان تعود متى ما شاءت لرحمة ربها لان ﴿رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[٤]

كما انه سبحانه قال في محكم كتابه العزيز ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[٥]

وهذه الاقتباسات كانت تجري على لسانه في مناجاته عَلَيْهِ السَّلَامُ عفو خاطره لم يتعمدها بيد ان سجيته وطبيعة بيئته التي نما فيها قلبه النقي وعلمه الفياض هذه الامور كلها هي من احكمت هذا الامر فبدت الايا ت كأنها مأخوذة من القران في معناها وبعض مبناها.

---

١- الصحيفة مناجاة المفتقرين: ٢١٠

٢- سورة النمل/ الآية: ٦٢

٣- سورة الأنبياء/ الآية: ٨٣

٤- سورة الأعراف/ الآية ٥٦

٥- ١٨٦ سورةالبقرة/ الآية

من الالفاظ القرآنية ايضا لفظة (ركن) التي استعملها في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ **(وان تؤوينا الى شديد ركنك)**[١]

هنا يستشف الامام عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الكلام من قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٢]

والركن هو ما يعتمد عليه البناء بعد الاساس، وقد قصد النبي لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بالركن، العشيرة التي ينضم اليها فتدفع عنه الظالمين بقوتها وسندها ومؤازرتها له، فهو أظهر حزنه في صورة التمني، فتمنى ان يكون له قوة تنصره على هؤلاء القوم.[٣]

اما علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد قصد أن يدعو ربه ونحن نتمثل هذا الدعوات ونجعلها سلوكا ونظاما في حياتنا، فليس قوة العشيرة والاهل اقوى من ركن الله الشديد مهما تكن مهيمنة في المجتمع، وفي قوله هذا مبالغة اذ قال شديد ركنك وليس ركنك الشديد اي انه قدم الصفة على الموصوف لتتركز في الذهن ويكون التمسك بالله أعمق واشد، فللإمام قدرة في اختيار مقومات الدعاء اللفظية فضلا عن الدلالية.

---

١- الصحيفة:٢١٤

٢- سورة هود/ الآية:٨٠

٣- العلامة الطبطبائي، تفسير الميزان، :٣٢٤

### ١٧ ـ نماذج من تفسير الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ :

كان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم، وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، ويقول المؤرّخون: أنّه كان صاحب مدرسة لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن، كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الذي رواه عنه زياد بن المنذر ـ الزعيم الروحي للفرقة الجارودية ـ

**وهذه نماذج من تفسيره عَلَيْهِ السَّلَامُ لكتاب الله العزيز:**

١ـ روى الإمام محمّد الباقر عن أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾[١]، أنّه تعالى جعل الأرض ملائمةً لطباعكم، موافقةً لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمأ والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنّه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّمَاء بِنَاءً﴾ أي: سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاءً﴾ يعني المطر ينزله من عال ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وأوهادكم، ثمّ

---

١ – سورة البقرة / الآية ٢٢

فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً﴾ أي: أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى.

وحوت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أروع أدلّة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض، فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلّة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدلّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على عظمة الله تعالى بخلقه السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تزوّد هذه الأرض بأشعّتها. إنّ أشعّة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعة سائر الكواكب، فإنّ الأثر التامّ في منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض، وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلاّ في هذه العصور الحديثة، إلاّ أنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ألمح إليها في كلامه، فكان حقّاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الروّاد الأوائل الذين

رفعوا راية العلم، وساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

وأعطى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ صورة متميّزة عن الأمطار، وأنّها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصّة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولو دام المطر ونزل دفعة واحدة، لأَهلك الحرث والنسل. وبعدما أقام الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ الأدلّة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم، دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التي تدعو إلى انحطاط الفكر وجمود الوعي، لأنّها لا تضرّ ولا تنفع ولا تملك أيّ قدرة في إدارة هذا الكون وتصريف شؤونه.

٢ـ فسّر عَلَيْهِ السَّلَامُ الآية الكريمة: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[١] بقوله: «السلم هو ولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ »، ولا شك أنّ ولاية الإمام أمير المؤمنين وباب مدينة علم النبي (صلّى الله عليه وآله) هي السلم الحقيقي الذي ينعم الناس في ظلاله بالأمن والرخاء والاستقرار، ولو أنّ المسلمين كانوا قد دانوا بهذه الولاية بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) لما داهمتهم الأزمات في حياتهم السياسية والاجتماعية.

٣ـ روى الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن جدّه الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[٢] أنّه قال: «إنّي ضامن على ربّي تعالى أنّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتّى تقع في يد الربّ تعالى»، وكان يقول: «ليس من شيء إلاّ وكّل به ملك، إلاّ الصدقة، فإنّها تقع في يد الله تعالى».

---

١- سورة البقرة/ الآية ٢٠٨

٢- سورة التوبة/ الآية ١٠٤

٤ـ سأل رجل الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الحقّ المعلوم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[١]، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الحقّ المعلوم الشيء الذي يخرجه من ماله ليس من الزكاة والصدقة المفروضتين». فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «يصل به رحماً، ويقوّي به ضعيفاً، ويحمل له كلّه، أو يصل أخاً له في الله، أو لنائبة تنوبه»، وبهر الرجل من علم الإمام وراح يقول له: الله أعلم حيث يجعل رسالته.[٢]

إن الادعية والمناجاة التي قدمها الامام السجاد، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، تميّزت عن سائر الادعية الواردة عن المعصومين، عليهم السلام، بانها كونت منظومة فكرية وتربوية وعقائدية متكاملة للأمة، وربما يمكننا القول؛ أن الامة، ومنذ عهد الامام السجاد وما بعده، لم يهدأ لها بال مع أية حكومة أموية كانت أو عباسية إلا وانقلبت عليه كالأسد الثائر، وهذا واضح من الثورات والانتفاضات التي عمّت الامصار، ابتداءً من ثورة التوابين ومروراً بثورة المختار ثم ثورة زيد بن الامام السجاد، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثم الثورات المتلاحقة. وكلها تنشد الاصلاح وتغيير الواقع الفاسد، وتظهر التبرّم من الظلم والطغيان والانحراف.

وبالإمكان الاشارة الى بعض هذه المميزات التي جعلت الصحيفة السجادية حقاً «زبور آل محمد».

**أولاً**: إنها تمثل التجرد التام من عالم المادة، والانقطاع الكامل إلى الله -تعالى-

---

١- سورة الذاريات/ الآية ١٩

٢- المصدر: أعلام الهداية/ المجمع العالمي لأهل البيت ج ٦

والاعتصام به، وهو أثمن ما في الحياة، ولنستمع إلى ما قاله الإمام في ذلك: «اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك، وأقبلت بكلي عليك، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك، ورأيت أن طلب المحتاج سفه من رأيه، وضلة من عقله، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، ورامو الثروة من سواك فافتقروا وحاولوا الارتفاع فاتضعوا...»

**ثانياً**: إنها فتحت أبواب الأمل والرجاء برحمة الله، بعد حالة اليأس والاحباط التي عمّت النفوس في ظل ظروف قاهرة، يقول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ، في بعض أدعيته: «إلهي وعزتك وجلالك، لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك...»

**ثالثاً**: وضعت أدعية الصحيفة السجادية منهجاً تربوياً راقياً للغاية، محبباً الى النفوس، يعالج مسائل اخلاقية وسلوكية، تخلّص الإنسان من ازمات ومشاكل فيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الناس. فهي ترسم الآداب والسلوك القويم، وتحدد أصول الفضائل الاخلاقية والصفات الإنسانية.

ومن أدعيته قوله: عَلَيْهِ السَّلَامُ : «اللهم صل على محمد وآله، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانته بنيتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال، اللهم وفر بلطفك نيتي، وصحح بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد مني. اللهم صل على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وأغنني،

وأوسع علي في رزقك، ولا تفتني بالبطر، وأعزني، ولا تبتلني بالكبر، وعبدني لك، ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجر للناس على يدي الخير، ولا تمحق بالمن، وهب لي معالي الأخلاق واعصمني من الفخر...»

ان السيرة العطرة للإمام زين العابدين، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والتي نستخلص منها في الخاتمة، بأنها كانت حقاً؛ نهضة روحية عارمة أشعلها في كوامن النفوس لإحياء الضمائر ودفائن العقول، ليعرف المسلمون كيف كانوا وما الذي فعلوه، وما هي مسؤوليتهم وكيف يجب ان يكونوا في المستقبل.[١]

وما الصحيفة السجادية والمناجاة الخمسة عشر إلا من رشحات نفسه القدسية، وفيها من فنون الدعوات، وآداب مخاطبة المعبود، ما لم يكن مألوفا لدى عبّاد ذلك العصر، فضلا عن اكتنازها لمطالب عالية في العقائد والأخلاق.

وهي من المؤلفات المهمة للإمام فقد عالج بها الكثير من القضايا النفسية كما فتح بها أفاق مشرقة في الاتصال بالله سبحانه وتعالى فقد ناجاه بقلب مفعم بالأمل والرجاء،وتضرع إليه بتذليل وخشوع وذاب أمام عظمته ورجاه رجاء المخلصين والمنيبين، واتجه بقلبه ومشاعره فلم يبصر غيره فوقف يناجيه صاغراً ذليلاً منكسراً يرجو العفو ويطلب منه الغفران، وقد غمرت مناجاته قلوب المتقين الصالحين من شيعة أهل البيت عليهم السّلام فراحوا يناجون بها الله في غلس الليل البهيم، وفي الأماكن المقدسة راجين منه تعالى أن تشملهم عنايته وألطافه.[٢]

---

١- محمد علي جواد تقي، الامام السجّاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) البكاء والدعاء عوامل لإصلاح النفوس

٢- القرشي، ص٤٥٩أ١٩٨٨

## الخاتمة

تعتبر الصحيفة السجادية ثورة على الفساد والانحلال الذي كان سائداً في ذلك العصر بسبب السياسة الأموية التي أشاعت المجون والفساد والتحلل بين المسلمين. فجاءت الصحيفة ثورة على الجمود والتخلف والانحطاط في العصر الأموي.

. سعى الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ لتحقيقه، تبلّوَر في شحن الأمّة روحياً. وذلك باتباع فلسفة الدُعاء، كوسيلة لتحقيق مبدأ عبوديّة الإنسان المطلقة، لله تعالى وحده. والتأكيد على انعتاق ذات الإنسان، من تأثيرات أيّة قوّة دنيويّة، وتحقيق موضوع ارتباط الإنسان بخالقه.

وهذا المنهج الذي اتّخذ من الدُعاء وسيلة لتهذيب النّفس البشريّة، وتأديبها بأدب القرآن، كان بمثابة مدّرسة، أعادت التّوازن الرّوحي عند الكثير من أبناء المجتمع، بعدما طغت عليهم روح الأنانيّة وعبادة الذّات، وضعف العلاقة الروحيّة بينّهم وبيّن الخالق تعالى.

وعندما بَصَرَتْ الجَماهير، الحقيقة التي تتجلّى بقيادة الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنهجه أخذت تميل إليه، وتترك ولاية الظالمين سراً وجهراً.

لا ينبغي لنا أن نتصور الدعاء والمناجاة على أنها مجرد ألفاظ يطرحها اللسان، بل هي انعكاس لمبدأ داخلي لا يبتعد كثيراً عن النفس الإنسانية، فهي نوع من التوعية والإيقاظ للقلب والعقل يتعلق بروح الداعي وأبعاد وجوده مولداً

لإحساس عميق بالفقر والخضوع، والابتعاد عن آفة الغرور والتعالي مرسخاً لشعور أنّ الله تعالى هو منبع النعم ومصدرها، مما يجعل التحرك في هذا المسار انفتاحاً نحو ما جبلت عليه نفوسنا من الطلب للكمال المنشود والاستجابة للفطرة الإنسانية السليمة.

كما لا ينبغي للبعض أن يعتقد أنّ الدعاء هو ترك للأخذ بالعوامل الطبيعية وتعطيل لمسيرة الحياة، فطلب الحاجات يُعدّ حافزاً للعمل على توفير شروط القبول من خلال التوسل بتلك العوامل، كالعمل بالمواثيق الإلهية والابتعاد عن كل فاسد والجد والاجتهاد في الطلب. فكلّما باعدتنا الأهواء عن ساحة قدسه سبحانه تأكّدت الحاجة لرأب الصدع وتقليص المسافة.[١]

إن تصدّي الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذه القضايا، لا شك أنه أكثر من مجرد تعليم وتفسير للقرآن، بل هو تطبيق له على الحياة المعاصرة، وتحريك للأفكار ضدّ الوضع الفاسد الذي تعيشه الأمة، ولا ريب أن ذلك يعتبره الحكام تحدياً سياسياً يحاسبون عليه.

وقد كان للأدعية التي أصدرها أبعاد فكرية واسعة المدى، بالنصوص الحاسمة والقضايا العقائدية الإسلامية، كانت بحاجة إلى البتّ فيها بنصّ قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة، تيّارات الإلحاد، كالتشبيه والجبر والإرجاء، وغيرها مما كان الأمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيداً للردّة عن الإسلام، والرجوع إلى الجاهلية الأولى.

---

١- العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجزء: ٩٣ ص ٣٠٢

وفي حالة القمع والإبادة، ومطاردة كلّ المناضلين الأحرار، وتتبع آثارهم وخنق أصواتهم، كان قرار الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ باتّباع سياسة الدعاء، أنجح وسيلة لبثّ الحقائق وتخليدها، وآمن طريقة، وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتصال سريّة مكتومة، هادئة، موثوقة.

إنّ خط الموالاة لأهل البيت (عليهم السلام)، وفي عصر الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ خاصةً كان يواجه صعوبات بالغة الشدّة، حيث كان الظلم مستولياً على كلّ المرافق والمقدّرات، ولم يكن بالإمكان القيام بأيّة مقاومة إيجابية، أو محاولة.

استخدم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ النطق بالدعاء وسيلة للإعلان عن المعتقدات وتبليغ الرسالات وتنمية الشعور بالمسؤوليات، في أحلك الظروف وأحرجها، وبثّ روح النضال والمقاومة، وتوثيق الرابطة الفكرية، وتأكيد التعهّدات الاجتماعية، وتثبيت العواطف الصالحة، حبّاً بالتولي والإعلان عنه، وتعميق الوعي العقائدي بين الأمّة، وتهيئة الأجواء روحياً وفكرياً وجسميّاً للإعداد للمسؤوليّات الكبرى، كلّ ذلك في ظروف جُندت فيه القوى المضادّةُ، للقضاء على الأهداف كلّها.

# فهرست


المقدمة ..... ٥

الصحيفة السجادية منظومة فكرية تربوية عقائدية متكاملة للأمة: ..... ١١

الهدف الذي سعى الإمام السجّادعَلَيْهِ السَّلَامُ لتحقيقه من خلال أدعيته ..... ١٣

الصحيفة السجادية مدرسة كاملة للمبدأ والعقيدة: ..... ١٥

اهل البيت عليهم السلام هم القرآن الناطق: ..... ١٧

الصحيفة السجادية بحر من المعارف: ..... ١٨

الإستشهاد والتمثيل في أدعيته من القرآن الكريم: ..... ٢١

تجلّي «القرآن» في «الصحيفة السجادية» : ..... ٢٦

الدعاء وإطلالته على الجانب الفكري والعقيدي: ..... ٣٠

خطّ العظمة في النظام الكوني المرتبط بالإنسان: ..... ٤١

المنهج التربوي في حركة الإنسان من خلال أدعيتهعَلَيْهِ السَّلَامُ : ..... ٤٧

المضامين التي اشتملت عليها الصحيفة السجادية: ..... ٥٠

تضمين معنى الآية في الدعاء: ..... ٥٣

في الصحيفة السجادية ..... ٥٩

من مظاهر التربية الاجتماعية ومضامينها ..... ٥٩
أثر المظاهر الاجتماعية والإقتصادية في أدعيته: ..... ٦٥
منهج الامام السجاد في مواجهة الفرق المنحرفة استناداً الى القرآن الكريم والادعية المباركة: ..... ٦٨
التأثر بالوصف القرآني في أدعية الإمام زين العابدين : ..... ٧١
نماذج من تفسير الإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ..... ٧٧
الخاتمة ..... ٨٣